کارگر

کارگر، دوره سه، شماره ۸، مرداد ۱۴۰۴

فی رأینا

الإعدام المروّع لثلاثة من الـ كولبران الأكراد

العمليات الوحشية للجمهورية الإسلامية

الاثنا عشر يوماً التي هزّت إيران

کارگر، المجلد. ۳، العدد ۸، أغسطس ۲۰۲۵ (مرداد ۱٤۰٤)

الإصرار على التخصيب، إنتاج القنبلة النووية، ومواصلة الحرب بهدف تدمير الدولة اليهودية

"معاداة رجال الدين": سلاح الإمبريالية، والبرجوازية الليبرالية، وبقايا الملكية ضد الحرية وتقرير المصير الوطني

الوظائف التاريخية للرأسمالية

كذبة الجمهورية الإسلامية، والإمبريالية، وأساتذة الشيعة-البازار حول خدمات استبداد بهلوي

فرهنگ و سوسیالیسم

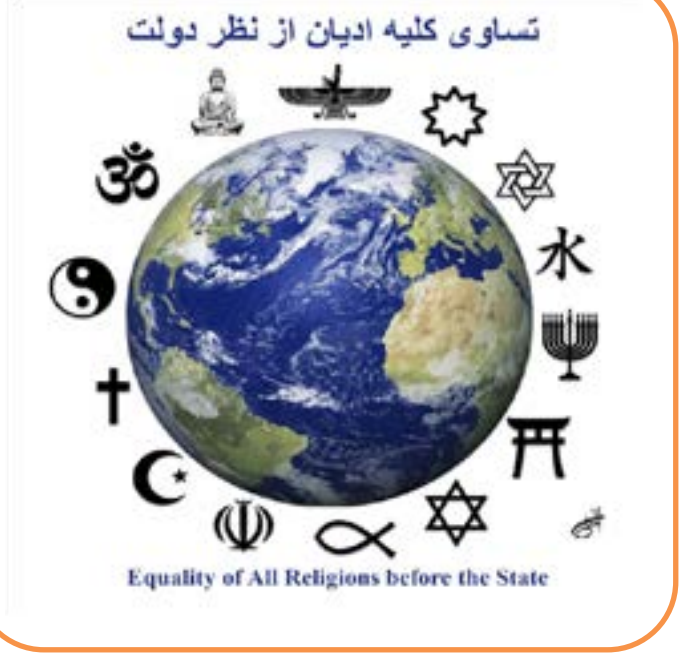

معیار متفاوت لقیاس الحق والباطل

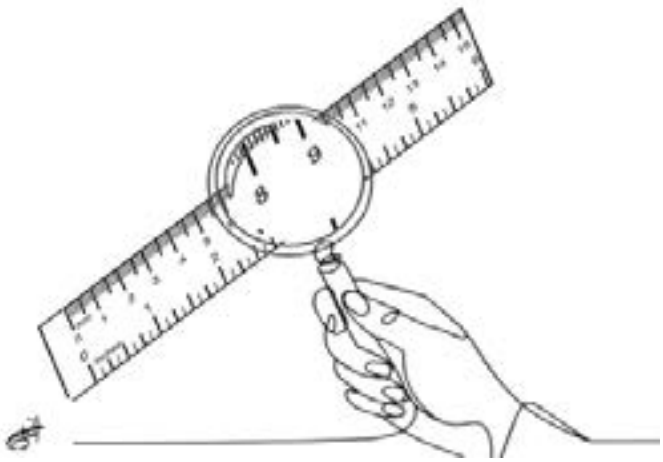

فصل ثاني

من العصور القديمة إلى العصر الكارولنجي:فترة الازدهار التجاري لليهود

في رأينا

الإعدام المروّع لثلاثة من الـ كولبران الأكراد

ضرورة إقامة سلطة كردستان لإنهاء تلفيق التهم وإعدام شباب الأكراد

إعدام ثلاثة من الـ كولبران (الحَمّالون الحدوديّون) الأكراد، إدريس علي، آزاد شجاعي، ورسول أحمد رسول، هو حادثة مؤلمة للغاية. إن الجمهورية الإسلامية، وهي نظام تم توريثه من الحكم الاستبدادي للبهلويين، تلجأ إلى إعدام أبناء العرقية-الأمة الكردية. فالإبادة الوطنية أو القومية لها جذور ضاربة في عمق التاريخ الحديث للاستبداد. بدأ الأمر بقمع كردستان وسائر القبائل والأقوام من خلال تأسيس ديكتاتورية رضا خان في الربع الأول من القرن العشرين وفقًا للنهج البريطاني القائم على المركزية في إيران. كان حجر الأساس في للاستبداد الملكي هو قمع القوميات ولاحقًا انتهجت دولة الشيعة-البازار نهج انكار الحقوق الوطنية و كبح القوميات-الأمم عبر العقاب، وتلفيق التهم والإعدامات.

كان إدريس علي وآزاد شجاعي يعملان كـ كولبر في المناطق الحدودية. أما رسول أحمد رسول فكان يعمل في التجارة وكان كرديًا عراقيًا. ويعكس إعدام هؤلاء الثلاثة نظرة الجمهورية الإسلامية العدائية تجاه حكومة إقليم كردستان في أربيل. فالمواطنون الكرد العراقيون، بخلاف مواطني الدول الأخرى، لا يُحسب لهم أي حساب، ويُحرمون، مثل غيرهم من المتهمين، من أدنى الحقوق القانونية، ويُعدمون سرًا في سجون أرومية.

إن مسألة إعدام أبناء الشعب الكردي الكادحين، من أمثال هؤلاء الـ كولبر الثلاثة، لها تاريخ طويل. ففي الفترة من ١٣٦٠ إلى ١٣٦٧ .ه.ش، كان يتم إعدام السائقين الكرد للحافلات الصغيرة بتهم ملفقة تتعلق بحمل حزم غير مصرح بها. وقد سبق قتل العديد من الـ كولبران برصاص "حرس الحدود". ولا شك في تهافت هذه التهم. فلا سائقو الحافلات الصغيرة ولا الـ كولبران لديهم معرفة حقيقية بمحتوى الحزم التي يحملونها، وهم يقومون بدور الناقلين أو شركات الشحن. إن تاريخ التمييز القومي ضد الشعب الكردي ضارب الجذور.

خلال حربه ضد القبائل الكردية والإدارة الوطنية الكردية، تسبب البهلوي الاول، حسب التقارير، بـ"خسائر فادحة لهم". وهذه الحرب أدت إلى قمع كردستان من قبل الحكومة المركزية في عام ١٩٢٩ م في المراكز الحضرية الكردية.

بعد ديكتاتورية رضا خان التي دامت ٢٠ عامًا (حتى عام ١٩٤١ م)، نجحت كردستان في إقامة أول حكومة كردية

في مهاباد بقيادة قاضي محمد (فبراير ١٩٤٦). ومع ذلك فإن أول رئيس للحكومة الكردية، قاضي محمد أُعدم مع إخوته على يد جيش بهلوي الثاني (أبريل ١٩٤٧).

ومع سقوط الملكية الاستبدادية في ١٩٧٩، شهدت كردستان فترة وجيزة من الحرية السياسية. غير أن هذه المرحلة الذهبية سرعان ما انتهت، إذ صدرت فتوى من الخميني وبقيادة مهدي چمران، وبمشاركة القوات العسكرية من الحرس الثوري والجيش، جرى "تطهير" مدينة باوه من "مناهضي الثورة" في أغسطس ١٩٧٩، وفخضعت كل كردستان تحت سيطرة الحكومة المركزية. وظل التخلف المفروض من الدولة المركزية قائمًا، واستمر إرث التخلف المفروض والمستدام.

تعلن الشيعة-البازار في الجمهورية الإسلامية أن مسألة السيادة الوطنية لكردستان كما هو حال مع الأمم-القوميات الأخرى في إيران، خطيئة لا تُغتفر حاكمةً على أبنائها بالموت عبر اعترافات وتهم باطلة مثل "الفساد في الأرض". إن هذه الإعدامات اشتدت وتيرتها بعد حرب الـ ١٢ يومًا. إن العداء العرقي المستمر للجمهورية الإسلامية هو إرث مظلم من عهدي البهلويين في امتداد للسياسات المرسومة من بريطانيا أولًا ثم لاحقًا الولايات المتحدة. إن الأمم-القومية، التي تشكل أكثر من نصف السكان، لا تملك أي سبب للصراع مع أي قومية أخرى—وخاصة ليس مع الأمة الفارسية. ففي الحقيقة، جميع المجموعات القومية في إيران موحّدة جوهرياً في نضالها من أجل التحرير الوطني. وبفضل الفهم المشترك لشعوب الشرق الأوسط، فإن سيادة كردستان تقرّب إيران من الوحدة مع شعب الدولة اليهودية. إن سيادة كردستان تلطّف البلاد بعطر الحرية للقوميات والأديان. إن جميع الطبقات الشعبية الحضرية والريفية، وحقوق النساء، والأقليات الدينية، والأمم-القومية، والشباب والطلبة—وبالتأكيد العمّال والفلاحين—يستفيدون من تنمية ونمو الحقوق القومية. وبدون السيادة الوطنية للقوميات، فإن السعي وراء الاستقلال والحرية أو سيادة الأمة ليس سوى وهم.

بسبب إبعاده عن أداء المهام التاريخية للرأسمالية نتيجة السياسات المعادية للقوميات لكلّ من البهلويين والجمهورية الإسلامية، يعاني كردستان من مشكلات إيران العديدة بصيغة أكثر حدّة. وقد تعمّقت هذه المعاناة الناجمة عن منع تنميته خلال حكم البهلويين ومن بعدهم الجمهورية الإسلامية. ولحل مسألة الأرض، فإن الإصلاحات الرأسمالية-الديمقراطية الهادفة إلى منح ملكية الأرض للفلاحين المعدمين والذين لا يملكون أرضًا هي المفتاح للقفزة الزراعية في المجتمع الكردي. كذلك، يجب تأكيد حق النساء في التنظيم المستقل واحترام طريقة حياتهن. ويجب أن يكون هناك احترام لحرية الأديان، بما في ذلك السنّة والمسيحيون والشيعة والدراويش وغيرهم. إن القضاء على الأمية من خلال إعادة ربط الشعب الكردي بهويته وجذوره—عبر تعليم اللغة الكردية في جميع المؤسسات التعليمية والإعلامية الرسمية— يُعد حاجة أساسية في المجتمع الكردي. ومن خلال تعزيز اللغة الكردية، يمكن لكردستان أن تهدي البلاد كلها القدرة على التكلّم بعدة لغات—وهو أمر يحتاجه المجتمع بأكمله—في حين أن أحادية اللغة الفارسية، التي فرضت عبر النهج المعادى للقوميات، قد رُوّجت من قبل الشوفينية البهلوية–الشيعية–البازارية.

ويمكن تحقيق تنمية الصناعات في المناطق الحضرية والريفية من خلال توسيع المجالس والاتحادات والجمعيات الخاصة بالعمّال والعاطلين عن العمل والفلاحين. كردستان بحاجة إلى تحقيق التوظيف الكامل، وتوسيع التنمية الحضرية والريفية، ومدّ شبكات المياه والكهرباء والغاز، وازدهار الحرية الفنية والفكرية، واحترام الحقوق المدنية والسياسية، وإنهاء الاعتقالات والسجون والمحاكمات والإعدامات بحق الشعب الكردي. جميع هذه الحقوق تعتمد على استعادة وإقامة حكومة وطنية في كردستان. يمكن لكردستان أن تحوّل المنطقة الحدودية المميتة، المفروضة من قبل حرس حدود الجمهورية الإسلامية، إلى حدود للتضامن العرقي.

تشريه سوسياليستى كارگر (گاه نامه)
سردبير بابک زهرائى

Kargaronline.com
kargar.co
support@kargaronline.com
contact@kargaronline.com
براى مقالات و گفتگوهاى قبلى (ويدئو و صوتى) به اين آدرس رجوع كنيد :

babakzahraie.blogspot.com
babakzahraie@gmail.com

ولا يمكن توقّع أن تتوقف اعتقالات الكرد وإعدامهم من قبل الحكومة المركزية. كما لا يمكن توقّع القضاء على الفقر و الحرمان، أو تحقيق التنمية الاقتصادية الكافية في الصناعة والزراعة، أو توسيع نطاق التعليم المجاني والرعاية الصحية المجانية في عموم المنطقة الكردية— من دون إقامة حكومة وطنية في كردستان.

إنّ السجلّ الممتدّ على مدى ٤٥ عاماً للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية التابعة للحكومة المركزية للجمهورية الإسلامية في كردستان سلبي للغاية. كردستان بحاجة إلى سلطة تنفيذية متوافقة مع متطلبات التحرر الوطني؛ وسلطة تشريعية لإعلان ميثاق للحقوق ولتشريع الحرية الوطنية الكردية؛ وسلطة قضائية منتخبة من الشعب الكردي، تستند إلى مبادئ وثيقة الحقوق. يمكن لكردستان أن تصبح نموذجاً لجميع المجموعات العرقية المقيمة في إيران. كما يمكنها أن ترفع بشكل نوعي المكانة السياسية والقوة التنظيمية للعمال والفلاحين في عموم البلاد.

وقبل كل شيء، فإنّ الإمكانات الوطنية لثمانية ملايين نسمة في المناطق الكردية—الموزعة على إحدى عشرة مدينة يفوق عدد سكان كلّ منها عشرة آلاف، ومدن مثل سنندج وسقز ومريوان التي يفوق عدد سكان كلّ منها مئة ألف—هي إمكانات لافتة للنظر.

أما مدينة أورمية، التي يزيد عدد سكانها عن سبعمائة ألف، وبفضل مزيجها من اللغات الكردية والآذرية التركية والسريانية أو الآشورية، فهي جوهرة التاج لكردستان. وتقع أورمية على الطريق الذي يربط خوي وسلماس بمهاباد وسردشت. إنّ اندماج الأجزاء الصغيرة والكبيرة من كردستان—من خلال توسيع الطرق والسكك الحديدية والسفر الجوي وشبكات المياه والكهرباء والغاز—يعتمد كلياً على توحيد الطبقات الشعبية الحضرية والريفية في كردستان حول إقامة السيادة الوطنية الكردية. لقد عمل البرنامج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي بأكمله للحكومة المركزية ضد القومية الكردية. وللحفاظ على هذه الأوضاع، تلجأ الجمهورية الإسلامية إلى تلفيق التهم وإعدام الشباب الكرد.

ومن أجل إقامة حكومة وطنية في كردستان، يتوقع الشعب الكردي الدعم من ذويهم وحلفائهم. إن ذويهم هم الأقليات الوطنية الأخرى، شعوب مثل الأتراك والبلوش والعرب وغيرهم. أما حلفائهم فهم الطبقة العاملة في إيران، التي هي الداعم الطبيعي والتاريخي والأولي للشعب الكردي ولسائر المجموعات العرقية؛ فالطبقة العاملة هي الضامن لتحقيق الاستقلال والحرية. إنّ طهران، مشهد، أصفهان، كرج، شيراز، تبريز، قم، والأهواز—بعدد سكان يفوق في كلّ منها المليون نسمة—هي أعمدة الحضارة الحضرية في البلاد، وجميعها حليفة للسيادة الوطنية الكردية.

من خلال دعم الحقوق الوطنية لكردستان، يقوم العمال والشعب الإيراني، في الحقيقة، بتعزيز حقوقهم هم أنفسهم. فجميع مطالب الطبقات الشعبية الحضرية والريفية تواجه معارضة من الحكومة المركزية.

إنّ الدعم المتبادل بين النساء، والأقليات الدينية، والأمم العرقية، والعمال، والفلاحين يعزل الموقف المعادي للوطنية للحكومة المركزية—وهو موقف متجذّر في مذهب بريطانيا–رضا خان والمستمر من قبل الجمهورية الإسلامية.

يمكن لكردستان أن تفتح البوابة الموصدة للاستقلال والحرية في البلاد. ولهذا فإنّ إقامة وتوسيع الحريات الدينية، والسيادة العرقية، وسيادة حقوق النساء، والشباب، والعمال، والفلاحين، والعمال المهاجرين و والعمال الأفغان، جميعها تشير إلى الطريق نحو الاستقلال والحرية.

من الضروري رفع حظر النشر عن كارگر (العامل) وعن نشاطات حزب كارگر. ومن الضروري الاعتراف بحقوق الشعب العامل الكادح في المدن والقرى على السواء، بما في ذلك إقامة حكومة شعبية.

ولإزالة الموقف المعادي لليهود–الصهيوني والمعادي للولايات المتحدة لدى الحكومة المركزية للجمهورية الإسلامية، فإنّ السيادة الوطنية لكردستان ولسائر المجموعات العرقية هو أمر أساسي. إنّ الأقوام، أي المجموعات العرقية في إيران، لا يملكون أي سبب للعداء مع الشعب اليهودي، ومن خلال تجربتهم الخاصة لوضعهم، فهم يدركون واجب الدفاع عن وجود الدولة اليهودية.

كما أنّ الأقوام في إيران ليسوا بحاجة إلى برنامج تخصيب نووي أو إلى إنتاج الأسلحة النووية، وهم ترفض ذلك. إنّ تنمية كردستان تجلب معها تقدّم جميع الأمم العرقية، وكذلك نمو حقوق النساء والشباب والعمال والفلاحين.

ما تحتاجه الأمة هو حكومة عمال وفلاحين تضع الحقوق العرقية–الوطنية للشعوب في رأس أولوياتها وتدعمها بشكل فعّال.

إنّ الطريق المجيد للتاريخ هو إقامة حكومة مستقلة، وهي حكومة العمال والفلاحين التي ستضع نهاية للأزمة الاقتصادية وللحروب الرجعية للجمهورية الإسلامية.

العودة إلى الصفحة الأولى

في رأينا:

العمليات الوحشية للجمهورية الإسلامية:

طرد آلاف العائلات الأفغانية؛ ومئات الآلاف من الأطفال، والشباب، والنساء، والرجال، والمسنين

إن الطرد اليومي لعشرات الآلاف من أبناء الشعب الأفغاني الكادح يمثّل علامة واضحة على الضعف في مؤسسات الجمهورية الإسلامية. تأتي هذه السياسات بالتزامن مع انكشاف أكاذيب هذا النظام خلال العملية الدفاعية الإسرائيلية لصدّ المخططات الكارثية لـ ج.ا.ا. في لإنتاج القنبلة النووية. كما تفضح الادعاءات الزائفة للشيعة-بازار عن أكاذيب أخرى في ألقاء اللوم على إسرائيل بتهجير الأمة العربية الفلسطينية.

إن طرد وتشريد مئات الآلاف من الرجال والنساء، وعائلات بأكملها، لا يمكن تخيله إلا ضمن العقلية التي تحكم الجمهورية الإسلامية، والتي تعمل وفق قانون عام ١٩٣١ لزبانية النظام في عهد بهلوي الأول! إن برنامج التخصيب الرجعي لتصنيع قنبلة نووية ضد إسرائيل هو دليل على عداء الجمهورية الإسلامية ليس فقط تجاه الشعب اليهودي بل أيضاً تجاه الجماعات العرقية والأمم في إيران والشرق الأوسط.

وعلى الرغم من نية الجمهورية الإسلامية في إضعاف الشعب العامل والكادح، فإنها لم تتمكن من إلحاق ضربات قوية بسكان إسرائيل، بل وجّهت ضرباتها بدلاً منذلك نحو المهاجرين الأفغان. مباشرة بعد تعرضه لأكبر نكسة من قبل العمل الدفاعي الأسرائيلي، استهدف النظام الحاكم في أيران أضعف شرائح الطبقةالعاملة، أي المهاجرين الأفغان، لكن هذا التعامل اللاإنساني مع الشعب الأفغاني وطرد مئات الآلاف من الأفغان المقيمين في إيران سيُسجل في التاريخ بوصفه سلوكاً وحشياً وعنصرياً.

إن الشعب الكادح في إيران، الحليف الحقيقي لشعب أفغانستان، بدأ يستفيق في وجه هذا الحدث. ويكشف هذا السلوك عن العداء العميق لنظام الشيعة-بازار تجاه المجتمعات العاملة والزراعية، والنساء، والشعوب الكردية والبلوشية والتركية، وبقية الأمم المقيمة في إيران، وكذلك الطلاب والشباب—بمعنى آخر، الطبقات الشعبية الحضرية والريفية بأسرها.

لقد سعت الجمهورية الإسلامية، التي أسسها الشيعة-بازار، من جهة، إلى ملء جيوب مسؤولي الدولة والطبقات الثرية، ومن جهة أخرى إلى قمع الشعب سياسياً من خلال الأجهزة العسكرية-الأمنية. وبعد أن تحمّلوا أقسى المعاناة، أصبح مئات الآلاف من الأفغان الفقراء والمهاجرين—وهم الشريحة الأضعف من الطبقة العاملة—ضحايا للجمهورية الإسلامية بعد هزيمتها أمام الرد الدفاعي الإسرائيلي.

أن الجمهورية الإسلامية هي قوة دعمتها أساساً القوى العالمية من أجل قمع الأمة الإيرانية—ولهذا السبب بالضبط لجأت إلى اعتداء لا إنساني ضد الشعب الأفغاني الشامخ. إن الإيذاء الذي تمارسه الجمهورية الإسلامية بحق الشعب، بدعم من أجهزتها العسكرية-الأمنية، هو أمر مرفوض ومُشين في أعين العمال والفلاحين الكادحين في إيران وأفغانستان.

في كل حيّ من أحياء إيران وأفغانستان، يجب أن يتردد صدى التضامن الراسخ للجميع مع الحقوق المهدورة للمهاجرين الأفغان. إن السياسات القاسية والوحشية للجمهورية الإسلامية ضد الشعب الأفغاني تتطلب تضامناً جماعياً من جميع الكادحين. هناك حاجة إلى وحدة بين العاملين والمزارعين في أفغانستان، وإيران، وإسرائيل أوقفوا طرد إخوتنا وأخواتنا الأفغان. فلتتزين إيران كلها بوحدة الجميع، وتشكيل المجالس المستقلة للعاملين والمزارعين، وتضامن جميع العمال والمجتمعات المهاجرة. تحتاج إيران إلى الاستقلال السياسي عن الشيعة-بازار وإلى إقامة حكومة للعاملين والفلاحين تفتح أبواب الحرية والحكمة في البلاد—طريق الأستقلال والحرية.

العودة إلى الصفحة الأولى

في رأينا:

الاثنا عشر يوماً التي هزّت إيران

خلال ردّ إسرائيل على الحرب الجمهورية الإسلامية ضد الدولة اليهودية وخطتها لفرض هولوكوست ثانى من خلال إنتاج أسلحة نووية – والتي بدأت في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، مع أكبر مذبحة لليهود منذ الحرب العالمية الثانية على يد حماس –لقد واجهت الجمهورية الإسلامية، نظام الشيعة-البازار، وضعاً غير مسبوق في تاريخها. المحاور الإقليمية للجمهورية الإسلامية تنهار واحدة تلو الأخرى أو على وشك الانهيار.

لقد انتهت الدكتاتورية الدموية للأسد في سوريا. حزب الله في لبنان تقلّص إلى قوقعة مقارنةً بقوته السابقة، بعد أن كان قوة مهيمنة في الشرق الأوسط. حماس، وبعد نحو عامين من حرب قتل اليهود ضد إسرائيل، فقدت عشرات الآلاف من مقاتليها بثمن تدمير غزة – التي جعلت منها درعاً لها – وعلى الرغم من استمرار احتجاز الرهائن في غزة، إلا أنها أصبحت معزولة. إن القوى الفلسطينية، بما في ذلك مئات الآلاف في الضفة الغربية، ترفض كلاً من حماس والقيادة التقليدية للسلطة الفلسطينية وتتخذ خطوات نحو الأعتراف بإسرائيل. يشهد الشرق الأوسط بأسره تنامي سيادة شعوبه المتنوعة.

إن خطط واشنطن لوقف تقدم إسرائيل في حرب الدفاع عن النفس منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ لم تتمكن من الحيلولة دون نجاحاتها. تواصل انتصارات إسرائيل في الدفاع عن النفس تسليط الضوء على ضعف موقف واشنطن في المنطقة. لقد تمكّنت تل أبيب، أكثر من أي وقت مضى منذ تأسيس الدولة اليهودية، ومن خلال الدفاع عن النفس، من صدّ طوق الحصار المفروض من قبل النظام الذي تقوده واشنطن وشركاؤه الإمبرياليون في الشرق الأوسط الغني بالموارد.

في إيران، أكثر من أي وقت مضى، أظهر التاريخ أن الدفاع عن وجود الدولة اليهودية مرتبط ارتباطاً لا يتجزأ بمطلب الشعب في الاستقلال والحرية. الجمهورية الإسلامية وحلفاؤها الإمبرياليون، من خلال الاعتماد على أيدولوجيا المعاداة لليهود والصهيونية والمعاداة للولايات المتحدة، نجحوا لعقود في قمع حقوق النساء، والشباب، والأقليات الدينية، والجماعات القومية-الأممية التي تشكل مجتمعة ما لا يقل عن نصف سكان البلاد، وسكان المدن والريف من الكادحين، والعمال المهاجرين والأفغان، والفنانين والمفكرين، وأهل الحرف والمتخصصين والعلماء، وأصحاب المشاريع الصغيرة، والحريات المدنية والسياسية.

إن هزيمة الجمهورية الإسلامية أمام حملة إسرائيل التي دامت ١٢ يوماً لتفكيك برنامج التخصيب النووي الرجعي وصواريخها الفرط-صوتية المتفجرة وأسلحتها الذرية، تفكك السلاسل القمعية التي قيدت الأمة لأكثر من ٤٥ عاماً. لم يعد الشعب راغباً في تحمل مذلّة الفقر والبطالة والتضخم ونقص المياه والطاقة – جميعها من نسل الجمهورية الإسلامية.

إن الطريق لتجاوز عقوبات واشنطن هو إقامة حقوق الشعب والإمكانات التي تنبع منها.

ما يجري في إيران على ضوء حرب الاثني عشر يوماً تؤكده الأحداث في جميع أنحاء الشرق الأوسط:

في سوريا ما بعد الأسد-البعث، إن الرابط العميق بين استقلال سوريا وحريتها يتجلى في وحدتها في الدفاع عن حق الدولة اليهودية في الوجود. وأثناء المجازر وقمع الدروز في جنوب سوريا، تبيّن أن جميع الأقليات في سوريا – مثل الأكراد والتركمان والمسيحيين والإيزديين والعلويين – تواجه خطراً من حكومة مركزية متحالفة مع الإخوان المسلمين. تواجه سوريا اليوم ضرورة إعلان اصطفافها مع الدفاع عن وجود إسرائيل وسيادة جميع أقلياتها من أجل الحفاظ على مجتمعها. إن الميثاق التأسيسي لسوريا – الذي تم تحديده وفرضه من قبل الإمبرياليات

الفرنسية والبريطانية ولاحقاً من قبل الولايات المتحدة – لا يستطيع أن يضمن حياة أقليات مجتمعها عبر استبدال حزب البعث بالإخوان المسلمين.

ويرتبط لبنان ارتباطاً لا ينفصل بحق إسرائيل في الوجود، كما يتضح من الحركة التقدمية للتاريخ نحو تحرير لبنان من قبضة حزب الله. لا يستطيع لبنان، كما عرّفته القوى الإمبريالية، أن يضمن أمن أقلياته وشعوبه المتنوعة، ويحتاج إلى إطار من السيادة لجميع أقلياته في ارتباط بالدفاع عن وجود إسرائيل.

وفي العراق – الذي يُعد الأبرز بين الدول الفاشلة في المنطقة – فإن حماية حياة وكرامة الأقليات ترتبط ارتباطاً لا ينفصل بالاعتراف بحق إسرائيل في الوجود. إن حكومة إقليم كردستان، النقطة المضيئة الوحيدة للعراق بعد حقبة صدام-البعث الدموية، تبيّن الطريق نحو سيادة الأقليات في جميع أنحاء الشرق الأوسط. من أفغانستان إلى جميع بلدان شمال أفريقيا، فإن طريق سيادة الأقليات هو طريق سيادة الدول.

إن الجمهورية الإسلامية، نتيجة سيادتها السياسية المبنية على تحالف الشيعة-البازار، والذي تعود جذوره إلى دعمهم لانقلاب ٢٨ مرداد الذي دبرته وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عام ١٩٥٣ هـ.ش. تواجه الآن رجفةً في هيكلها السياسي وذلك من خلال الحفاظ على النظام الموروث من الاستبداد الدموي لعهد البهلوي، مع الاستناد إلى خطاب معاداة أميركا ومعاداة اليهود-الصهيونية. تم اختبار دعاية الشيعة-البازار الرجعية خلال الحرب الدفاعية التي خاضتها إسرائيل لمدة اثني عشر يوماً، وثبت أنها خاوية. وبالمثل، إن الحفاظ على النظام الموروث من الاستبداد البهلوي—والذي هو أصل جميع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية في البلاد—أصبح أمرًا أكثر صعوبة. وقد اكتسبت جهود الشعب في مقاومة الفقر والبطالة والتضخم وأزمة المياه والكهرباء، والبرامج المُعذِّبة للشيعة-البازار، زخمًا جديدًا.

إن مجمل المواقف التي تدعو إلى نبذ معاداة اليهود والصهيونية، نبذ الحرب ضد الدولة اليهودية، التخلي عن تخصيب اليورانيوم والصواريخ الباليستية المصممة لحمل الأسلحة النووية، استعادة حقوق النساء، والأقليات الدينية، والاقوام (الاقليات الوطنية) ، وحق التنظيم المستقل للعمال والفلاحين، وحقوق العمال المهاجرين والأفغان، والحقوق المدنية والسياسية، بالاضافة إلى رفع الحظر عن نشرية *كارگر*، ومنشورات فانوس، وحزب *كارگر*، وإنهاء احتجاز وسجن السجناء السياسيين، وإلغاء عقوبة الإعدام - تعتمد على القوة التاريخية للشعب - باختصار، حق التنظيم المستقل للطبقات الشعبية الحضرية والريفية. هذا الحل لا يمكن القضاء عليه، سواء تغيّرت علاقات الجمهورية الإسلامية مع واشنطن أم لم تتغيّر.فإن موقف ميلات وخيارها لايمكن التخلي عنهما وهما السبيل الوحيد للخلاص.

إن حلّ المهام التاريخية للرأسمالية لا يمكن أن يتم إلا بالاستناد إلى المصدر الذي لا ينضب لحركة التحرر الوطني. إن القضاء على الفقر والأمية، وتحقيق التوظيف الشامل، وإزالة التضخم، وضمان التعليم والرعاية الصحية المجانية للجميع، وحل أزمتي المياه والكهرباء، لا يمكن أن يتم إلا من خلال التنظيم المستقل ووحدة العمال والفلاحين لإقامة حكومة وطنية.

يجب أن تُكسى إيران بحقوق النساء ووحدتهن. لا بد أن يُعلن تشغيل النساء، والمساواة في الحقوق مع الرجال، كمبادئ تأسيسية للمجتمع.

إن مساواة جميع الأديان أمام الدولة هي من حقوق شعب إيران. إن فصل الدين عن الدولة، وهو إنجاز تاريخي للبشرية منذ القرن الثامن عشر، ينطبق دون شك على إيران، وبدونه لا يمكن تحرير البلاد من قيود الملكية والشيعة-البازار. يجب أن يقرع جرس حرية الأديان في عموم إيران.

إن الحكومات الوطنية—كحكومات أذربيجان، وكردستان، وبلوشستان، وسائر الأقوام-الأمم الساكنة في إيران—ضرورية لتحقيق المهام التاريخية للرأسمالية واقتلاع مآسي السيطرة الطويلة للاستبداد البهلوي واستمراره عن طريق الجمهورية الإسلامية. إن التوظيف الشامل، ونمو الصناعة والزراعة، وحل الأزمة العميقة للماء والكهرباء بين شعوب الترك، والأكراد، والبلوش، وسائر القوميات، مثلما هو الحال مع حاجات الناس في جميع أنحاء البلاد، يتطلب إقامة حكومات وطنية. حكومات تجلب معها تدريس

اللغات الأم بوصفها إحياء الأمة، وتأسيس جماهير الناس العمال والكادحين. يجب أن ينتهي إلى الأبد طرد الشعب الأفغاني الكادح، وتُزرع بذور التضامن بين الأمم.

تحتاج إيران إلى التنظيم المستقل ووحدة العمال والفلاحين. لا بد من الاعتراف بسيطرة العمال على الإنتاج—من خلال المجالس أو الجمعيات أو الاتحادات—كمبدأ أساسي في تنظيم و نمو الصناعة في البلاد. فالاقتصاد ملك لجماهير الكادحين الذين يبنون الوطن. يجب الحفاظ على موارد العملة الأجنبية في البلاد من خلال سيطرة العمال على الإنتاج ومبدأ احتكار الدولة للتجارة الخارجية، لإنقاذ إيران من تقلبات العملة والتفقير الدائم الناتج عن النظام الاقتصادي البهلوي.

يجب أن تصبح إيران قبلة الحرية الفنية والفكرية. إن الاستقلال السياسي عن الرأسمالية، ورفع الحظر من النشر عن *كارگر* وحزب *كارگر*، أمران أساسيان لتحقيق استقلال البلاد وحريتها. يجب رفض جميع بقايا الرجعية الملكية، كما يطالب به غالبية العمال والكادحين.

تحتاج إيران إلى الاستقلال السياسي عن الشيعة-البازار. إنها بحاجة إلى استقلال حكومة العمال والفلاحين، حتى تتحطم السلاسل التي قيدت نمو صناعتها وزراعتها وثقافتها على مدى قرن كامل—وفقط آنذاك سيتمكن شعب إيران وأممها من فتح كل أبواب الحرية والحكمة.

العودة إلى الصفحة الأولى

عقب نجاح إسرائيل في تدمير أجزاء رئيسية من برنامج تخصيب اليورانيوم التابعة للجمهورية الإسلامية

الإصرار على التخصيب، إنتاج القنبلة النووية، ومواصلة الحرب بهدف تدمير الدولة اليهودية

إن حرب إسرائيل الدفاعية التي استمرت ١٢ يومًا، ردًا على تسريع الجمهورية الإسلامية في إنتاج الأسلحة النووية، قد غيّرت المشهد السياسي في الشرق الأوسط، مُنهية أكثر من ٧٠ عامًا من عزلة الدولة اليهودية منذ تأسيسها. المدافع التاريخي، أي إسرائيل، التي كانت محاصرة في شرق أوسط معادٍ لليهود–الصهيونية، قد وجّهت رمحها نحو المعتدي، أي الجمهورية الإسلامية، وتبدّلت موازين النفوذ بين الطرفين في المنطقة. فمنذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، دخلت الجمهورية الإسلامية و"محور المقاومة" التابع لها في مسار انحداري، ولا يمكن لأي خدعة أن تداوي الهزيمة التي تسببت بها حرب الأيام الـ١٢.

إنّ الوضع الدولي للإمبريالية بقيادة واشنطن يعزز من انحدار الجمهورية الإسلامية. فقد شهدت واشنطن تراجعًا مستمرًا في مكانتها الدولية منذ انتصار ثورة ١٩٧٩ في إيران. إن مسار التراجع بين واشنطن وبورجوازية إيران المحلية متشاكبة، مما يسلط الضوء على المآزق الاستراتيجية التي تواجها واشنطن، والتي تتجاوز المصير غير الملائم للجمهورية الإسلامية. وفي خضم ذلك، استطاعت إسرائيل، من خلال دفاعها عن وجودها منذ ٧ أكتوبر وحتى الآن، أن تعزز موقعها أكثر من أي وقت مضى.

إنّ وضع الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد حرب الأيام الـ١٢ يُجسّد القصة القديمة عن الملك الذي ليس لديه

ملابس. ولكنّ الدعاية الشاملة للجمهورية الإسلامية لا تكتفي بإنكار عري النظام، بل تواصل حربها المستمرة منذ أكثر من ٤٥ عامًا ضد الدولة اليهودية.

من رأس نظام الجمهورية الإسلامية وسياساته الحكومية، مرورًا بالمعارضة الإصلاحية التي تتحدث باسم حقوق الانسان، وصولًا إلى بقايا الستالينية-الچريكى (guerilla) (حزب توده، "اكثريت"، والجمهوريون)، يلجأ الجميع إلى تشويه الواقع، وينكرون السياسات الرجعية لتخصيب اليورانيوم والحرب من أجل تدمير الدولة اليهودية، ليقرعوا على طبل فارغ.

على العمال الشباب أن يكونوا على دراية بأنّ نظام الشيعة-البازار وجميع فصائلها لا يمكن أن تتخلى عن برامجها المعادية للديمقراطيةالوطنية. وذلك ببساطة يكمن في الموقف الثابت للشيعة-البازار، منذ دعمهم لانقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ هـ.ش. للحفاظ على الملكية البهلوية الثانية، ولاحقًا بعد انتصار ثورة ١٣٥٧ هـ.ش. بتأسيس الجمهورية الإسلامية، قد استمرت ولاتزال تسعى في الاتجاه نفسه.

بالنسبة لجميع الأطراف المعنية، وفق ما هو موثّق في وسائل الإعلام ومنشورات الجمهورية الإسلامية، هو إنكار الحقائق وطرح محتوى يهدف إلى الاستحواذ على حصة أكبر من السلطة الحكومية لصالح الشيعة-البازار. وسنقوم هنا بمناقشة النقاط الاساسية لبرامج منتقدي النخبة الحاكمة واصرارهم على المحافظة على البرامج المعادية للأمة من قبل حكومة الشيعة-بازار، استنادًا إلى أقوالهم (جميع الأرقام والعناوين والاقتباسات مأخوذة من افتتاحية صحيفة "شرق" بتاريخ ٢٦ تير ١٤٠٤ هـ.ش. الموافق لـ٧ يوليو ٢٠٢٥، التي أعادت نشر بيان منتقدي الحكومة بعنوان "أيّ تصور؟"):

١- "مشاكل البلاد ناتجة عن انعدام التواصل مع مختلف دول العالم والمفاوضات البنّاءة مع أمريكا وأوروبا." إن البرنامج الرجعي لتخصيب اليورانيوم وإنتاج القنبلة النووية، باعتباره "الخط الأحمر للنظام"، بهدف استخدامه في تدمير إسرائيل يتم إخفاءه بشكل واضح.

٢- "تغيير جذري في النهج نحو مشاركة الشعب." في الثقافة السياسية للجمهورية الإسلامية، يُطلق مصطلح "الشعب" على بعض أجزاء النظام نفسه. وتبادل الرأي بين "الشعب" في الصحف ووسائل الإعلام العامة في الجمهورية الإسلامية هو حرية التعبير عن الهراء بالاسم فقط. الأجزاء من النظام التي تطالب بحضور أكبر في الإدارة تطرح نفسها باسم "الشعب" في مواجهة التيار اصولگرا (الأصولي) الذي يهيمن غالبًا على مصادر الدخل الاقتصادي وقيادة الحرس الثوري والباسيج. كما أنّ التيار الأصولي بدوره يصف نفسه بـ"الشعب".

٣- يشير بيان المنتقدين للحكومة في افتتاحية صحيفة شرق إلى "إطلاق سراح الناشطين السياسيين من السجن". من اللافت أن يُقلَّص مطلب حرية "السجناء السياسيين" إلى حرية "الناشطين السياسيين". ومع ذلك، فإنّ مطلب الأمة والطبقة العاملة في إيران هو الإفراج عن جميع السجناء السياسيين، من توجهات التيار الإصلاحي أوحقوق الإنسان وغيرها، بالرغم من آرائهم، ورفع الحظر عن نشر صحيفة كارگر، ونشاط حزب كارگر، و منشورات فانوس.

إنّ تقليص هذه المطالب إلى الإفراج "الناشطين السياسيين" الإصلاحيين والمدافعين عن حقوق الانسان غير صحيح، ويشوّه موقف الشعب، في حين أن الواجب الأساسي هو الإفراج الكامل لجميع السجناء السياسيين واحترام الحقوق المدنية والسياسية. تمامًا كما حصل في مرحلة ما بعد ثورة ١٩٧٩، حين تم تقليص مطلب تأسيس جمعية تأسيسية لتعزيز حقوق الأمة – الذي اقترحه محمود طالقاني (آية الله) ومهدي بازرگان – إلى تشكيل مجلس خبراء، وهو هيئة خاصة بالشيعة-البازار، وقد ترتب على ذلك نتائج بالغة الضرر على الشعب. وقد حظي هذا التحول من موقف الأمة إلى موقف الشيعة-البازار بدعم جميع مسؤولي الدولة، سواء من بقي منهم في السلطة أو من فقدها لاحقًا، كما أن الموقف المناقض للمصالح المستقلة للشعب تم تبنيه من قبل الجميع في عملية تأسيس الجمهورية الإسلامية.

إن قضية تحرير السجناء السياسيين/رفع الإقامة الجبرية ووقف الإعدامات القائمة على أساس الفقه أو الرؤية الشيعية أو دستور الجمهورية الاسلامية، هي مسألة حيوية

للبلاد. فقد أدركت البشرية بـ وثيقة الحقوق بعد الثورة الأمريكية للاستقلال في أواخر القرن الثامن عشر، وجُعل فصل الدين عن الدولة في مقدمة الواجبات الإنسانية. حلّ هذه المسألة الحيوية المتعلقة بالحريات المدنية والسياسية في مجتمع شبه استعماري مثل إيران لا يمكن أن يتم إلا من خلال التنظيم المستقل ووحدة العمال والفلاحين، وفصل المسجد عن الدولة.

فمنذ الثورة الدستورية حتى اليوم، ظل الإطار القانوني خاضعًا لسلطت الشيعة-البازار، اولاً عبر الملكيات الاستبدادية ثم من خلال الجمهورية الإسلامية، بما يشكل إنكارًا لحقوق الشعب. إن مفتاح النجاح الوطني في تحقيق الحقوق المدنية والحريات السياسية يتمثل في الوحدة الشاملة والتنظيم المستقل للعمال والفلاحين.

ومع ذلك لابد من إيضاح بعض النقاط فيما يتعلق بالسجناء السياسيين أو "الناشطين السياسيين". فكما أنّ التحول الثوري في عام ١٩٧٩، وتحرير إيران من الاستبداد البهلوي، قد حدث من دون أن يلعب السجناء السياسيين أي دور في ذلك، ويبدو أنّ حقيقةً مشابهةً تسري اليوم على "الناشطين السياسيين" المسجونين في الجمهورية الإسلامية، تمامًا كما أنّ إيران اليوم بحاجة إلى إنهاء تخصيب اليورانيوم، وإنتاج الصواريخ، والحرب ضد إسرائيل. فـ"الناشطون السياسيون" المسجونون، مثل باقي أطراف السلطة، غالبًا ما يعتنقون معاداة اليهود ومعاداة الصهيونية وضد-آخوند، معاداة رجال الدين.

إنّ المطالبة بإطلاق سراح السجناء السياسيين ورفع الإقامة الجبرية دون قيد أو شرط هو مطلب مشروع بغض النظر عن المواقف السياسية للأفراد، حتى وإن كانت تلك المواقف - مثل مواقف النخبة الحاكمة – لا تنسجم أو حتى تتعارض مع رغبات الشعب واحتياجات البلاد. فعلى سبيل المثال، في يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، لم يدن قادة بارزون في مجال حقوق الإنسان - الذين كانوا في السجن - أكبر عملية قتل جماعي لليهود منذ الحرب العالمية الثانية، لكنهم سارعوا إلى إدانة دخول إسرائيل إلى غزة لملاحقة مجرمي حماس. غالبًا ما ينظر السجناء السياسيون في الجمهورية الإسلامية إلى الشؤون الدولية من زاوية الإمبريالية، تمامًا مثل النخبة الحاكمة، ويضبطون مواقفهم السياسية بما يتوافق مع سياستهم المؤيدة للإمبريالية. وهذه الحقيقة ليست غريبة، وليست جديدة بالنسبة لنا في ما يتعلق بالسجناء السياسيين في الجمهورية الإسلامية.

وبالمثل، خلال سنوات السجن من عام ١٩٨١إلى ١٩٨٨هـ.ش.، كان معظم السجناء السياسيين من أنصار الحرب التي شنّها صدام حسين على إيران، ومن المؤيدين لموقف واشنطن وحلفائها (تمامًا مثل البرجوازية الليبرالية وقادة حرب الثمانية أعوام في إيران)، وكما فعل قادة الحرب في البلاد، ألقوا باللوم على إيران في نشوب الحرب العراقية الإيرانية.

علاوة على ذلك، ووفقًا لتقاليد حركة حرب الغوريلا / الحركة الشعبية قبل الثورة، أنكروا الحقوق الأساسية لرفاقهم السجناء وأقاموا "سجنًا داخل السجن" مقلدين أساليب البيوت الآمنة للمجموعات المسلحة السرية. وكانت هذه الفئة من السجناء، التي تتألف في الغالب من مؤيدين من الصفوف الدنيا للفصائل السياسية والملقبين من قبل النيابة العامة بلقب "المتشددين على مواقفهم"، تمثل أقل من ٢٠٪ من إجمالي السجناء. أما الباقي، فإما أُعدموا، أو أصبحوا من التوابين.

إنّ دخول سجناء حزب توده (بين١٩٨٢–١٩٨٣هـ.ش.) وانضمامهم إلى أنشطة فصائل ذات توجه نحو حرب الغوريلا – قفزًا من فرع دعم الجمهورية الإسلامية إلى فرع السياسة البرجوازية الليبرالية بعد اعتقال قادة ونشطاء الحزب – واتِباعهم لنموذج "السجن داخل السجن"، قد مهد – للأسف - الطريق نحو إعدامات ١٩٨٨هـ.ش.، التي كان هدفها الرئيسي إعدام قادة وكوادر حزب توده. وذلك رغم أنّ المجلس الأعلى للقضاء كان قد أعلن: "نحن نعارض إعدامكم"، وكان بوسع سجناء حزب توده استغلال الفرصة المتاحة لصالحهم. لكن، مثل رفاقهم الجدد من بين الشعبويين في السجن، أصبحوا مصممين على تغيير المجتمع من داخل السجن، واتباع مسار من المواجهات المميتة في السجن.

واليوم أيضًا، يتبع غالبية السجناء، مثل النخبة الحاكمة، نزعة معاداة اليهود–الصهيونية على المستوى الدولي، ويؤمنون بكراهية رجال الدين. (ومن الواضح أنّه في الماضي، عندما كان المرء يدافع دون قيد أو شرط عن

إيران ضد عدوان صدام–أمريكا، لم يكن من الممكن توقّع حصوله على جوائز دولية، وكما هو الحال اليوم، فإن من يدين دون قيد أو شرط المجزرة اليهودية في ٧ أكتوبر لا يمكنه أن ينال جوائز من أوروبا).

إنّ كامل الجمهورية الإسلامية و حلفائها السياسيين في الداخل والخارج يقرعون طبول الدفاع عن "المضطهدين" في غزة، ويتنصلون من الإدانة غير المشروطة لجريمة حماس في ٧ أكتوبر—وفي كل موقف، ينسجمون مع مواقف الإمبريالية العالمية والأمم المتحدة، ويسعون لدعم حرب حماس الرجعية ضد وجود الدولة اليهودية.

تشير القرائن إلى وضع مشابه لسنوات الحرب الإيرانية–العراقية وصراعات فصائل النخبة الحاكمة من الشيعة-البازار. ففي ذلك الوقت، كانت الصراعات معادية للاتحاد السوفييتي، أما الآن فهي موالية لموسكو. و اليوم يسعى هؤلاء إلى الاستعانة بالمحور المركزي للنزعة المعادية لليهود–الصهيونية لتجاوز أزمة حكم الشيعة-البازار بعد حرب الأيام الـ١٢، ولتوحيد كل النخبة الحكمة تحت هذا الشعار، بمساعدة من "الناشطين السياسيين" المعتقلين كما يقترح "منتقدو" النظام.

بوجه عام يدعم هؤلاء المنتقدون، مثل سائر المؤسسة الشيعية-البازارية، البنية الاقتصادية الرأسمالية، والنظام الذي تركه الاستبداد الملكي، ويطالبون بتطبيق سياسات دولية شبيهة بتلك التي كانت سائدة في الملكية السابقة. وهي المواقف نفسها التي دافعوا عنها منذ ما قبل الثورة – تمامًا مثل باقي أعضاء هيكل الحكم - وقد عارضوا على الدوام ثورة عام ١٩٧٩.

٤. "إصلاح هيئة الإذاعة والتلفزيون لـ ج.ا.ا. بحيث تُصبح مرجعًا إعلاميًا للشعب". هنا أيضًا، الهدف الحقيقي للمنتقدين هو فقط توسيع وصولهم إلى التلفزيون الوطني. لا يُذكر شيء عن المطالب المباشرة للعمال، والفلاحين، والنساء، والأقليات الدينية، والمجموعات الوطنية والعرقية، والعمال المهاجرين و العمال الأفغان، والشباب- ولا لوصول منظماتهم المستقلة إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون لـ ج.ا.ا. في الواقع، إنّ هذه الانتقادات هي صراع على توزيع الثروة بين مديري الحكومة والقطاع الخاص، وبين الدولة والقوات العسكرية مثل الحرس الثوري، وقد استمر هذا الصراع بين فصائل النخبة الحاكمة منذ أكثر من أربعة عقود منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية.

٥. "الاهتمام بالكفاءة والقدرة المهنية..." يواصل نهج الشيعة-البازار في عرقلة التنظيم المستقل للعمال والفلاحين وكافة الطبقات الشعبية الحضرية والريفية، تحت ذريعة معالجة قضايا البلاد. إن هذه الإستراتيجية الحكومية الرأسمالية تُمارَس لأكثر من قرن من قِبل الملكيات الاستبدادية المتعاقبة والجمهورية الإسلامية. إنّ أساس الاستفادة من الخبراء والعلماء في البلاد هو التنظيم المستقل ووحدة العمال والفلاحين كمصدر جذب للعلم والخبرة من أجل الاستقلال والحرية. وإلا، فإنّ جموع الخبراء، كما أظهرت تجربة قرن كامل من الاستبداد القاجاري–البهلوي حتى اليوم، لا تتعدى كونها زينة للنخبة الملكية الحاكمة التي تجسدها الآن الشيعة-البازار. وكما نرى، فإن الاستمرار في نفس السياسات، قد أدى إلى طريق رجعي لتخصيب اليورانيوم والصواريخ الفرط صوتية، دون تحقيق تقدم ملموس للشعب الكادح. تنفق مليارات الدولارات على البرامج العسكرية الحكومية، وتحرم الأمة من الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية العاجلة.

٦. "تنظيم النهج النقدي... ومنع الفساد والريعيّة". هذه مطالب جوفاء من دوائر الشيعة-البازار، التي لا يمكن تحقيقها دون سيطرة العمال على الإنتاج الصناعي ومن دون احتكار الدولة للتجارة الخارجية. فبدون سيطرة العمال على الإنتاج الصناعي، لا يمكن استخدام النظام المصرفي كوسيلة لاستقلال البلاد وحريتها، بل تصبح أدوات في أيدي أنصار الأقطاب الإمبريالية والفساد الاقتصادي. وقد أدى استمرار سياسات الدولة الملكية من قبل الجمهورية الإسلامية إلى رفع سعر الدولار من نحو سبعة تومانات إلى مئة ألف تومان، مما دفع بثلث السكان تحت خط الفقر.

٧. "ضرورة خروج القوات المسلحة من النشاطات الاقتصادية". وهذا أيضًا، دون التنظيم المستقل للعمال والفلاحين، لا يعدو كونه شعارًا فارغًا. إن إدارة الصناعة والزراعة، سواء كانت بيد الدولة أو القطاع الخاص،لا يمكن أن تلبي احتياجات البلاد وتدفع نحو الاستقلال

والحرية، إلا عبر الالتزام الصارم بالتنظيم المستقل للعمال والفلاحين والسيطرة على الإنتاج.

افتتاحية صحيفة شرق تقرّ بأنّ من صاغوا هذه المطالب كانوا هم أنفسهم من كبار المسؤولين في الحكومة "وقد شاركوا بأساليبهم في خلق الفوضى القائمة". النقطة المشتركة بين صانعي المطالب والكتّاب المنتمين إلى النخبة الحاكمة هي دعمهم لتخصيب اليورانيوم ومعاداتهم لليهود–الصهيونية. ومع هيمنة إسرائيل على السياسة الإقليمية بعد تدمير أجزاء من منشآت تخصيب اليورانيوم للجمهورية الإسلامية، تكثف كل الشيعة-البازار من وتيرة شعاراتها المعادية لليهود–الصهيونية. وتعبّر الجمهورية الإسلامية عن رفضها "للاستسلام" بهذه الصيغة: "لكن هذا ليس استسلامًا لأمريكا، بل استسلام لمجموعة عنصرية، متعصبة، قاتلة للأطفال، توسعية، انتقامية، لا تؤمن إلا بأوامر القتل والانتقام والإبادة الجماعية المذكورة في التوراة والتلمود".

ببساطة، إنّ قادة الجمهورية الإسلامية لديهم مشكلة مع التوراة والتلمود، وكراهية اليهود، تماماً على غرار سائر الجماعات المشابهة في تقاليد النازية، التي تهمين على الخطاب السائد في الجمهورية الإسلامية. في حين أنّ آية صريحة في القرآن، في سورة البقرة تقول:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة، آية ٤٧).

الكلمة الأولى والأخيرة لمثقفي النظام في الجمهورية الإسلامية هي الدفاع عن نهج تخصيب اليورانيوم الرجعي، وصناعة وإطلاق الصواريخ، وكراهية اليهود–الصهيونية، والحرب ضد الدولة اليهودية. ولهذا، يتم عرض الحقائق التاريخية بشكل معكوس، على عكس الحقيقة، بهدف دعم السرديات الرسمية للجمهورية الإسلامية، والتي هي استمرار للمسار الرجعي للنظام البهلوي. هذا الأمر واضح في بيان منتقدي الحكومة المنشور في افتتاحية صحيفة شرق. على سبيل المثال، فإنّ وقف إطلاق النار المؤقت في حرب الأيام الـ١٢، من وجهة نظر منتقدي الحكومة في الجمهورية الإسلامية، يُعزى إلى قوة الصواريخ الفرط صوتية للشيعة-البازار. أو يكتبون من داخل السجن أنّكم قمتم باستفزاز النظام الصهيوني ضد إيران، ولو كنّا نحن في الحكم، لكنا وضعنا إسرائيل عند حدّها!

أحد المثقفين البارزين في الجمهورية الإسلامية، والذي كان في صدارة المثقفين الحكوميين منذ حملة تطهير أكثر من ألف أستاذ جامعي في السنوات الأولى بعد الثورة (مع عبدالكريم سروش وجلال الدين فارسي، وقد قاد تلك الحملة تحت شعار"الثورة الثقافية")، وهو نفسه من يصرّح علنًا بأنّه لا يؤمن بالحرب لتدمير إسرائيل، ويرى أن القوة الصاروخية هي سبب قوة ايران (صادق زيباكلام، صحيفة شرق، الاثنين ٣٠ تير ١٤٠٤ هـ.ش. الموافق لـ٢١ يوليو ٢٠٢٥)، ويدافع عن "حق" إيران في تخصيب اليورانيوم. لكن الحقيقة أنّ القوة الصاروخية لإيران، شأنها شأن قدرة تخصيب اليورانيوم، والحرب ضد إسرائيل، ليست سوى أسباب لخزي الأمة وشقائها، وهي نتيجة الإنحراف عن طريق الاستقلال والحرية في البلاد.

إن مجلس مستقل واحد للعمال، أو جمعية مستقلة واحدة للفلاحين، يتفوق على مئات مراكز تخصيب اليورانيوم وصناعة واستخدام الصواريخ الفرط صوتية،حين يتعلق الأمربتحقيق الحاجة التاريخية من أجل نيل الاستقلال الوطني والحرية. إنّ تخصيب اليورانيوم هو انحراف عن أهداف ايران في الاستقلال والحرية، ويشكّل عائقًا في وجه تحقيقها. إن كل التقدم و المصداقية المفترضين لمثقفي الجمهورية الإسلامية يمكن قياسه فقط بمدى معارضتهم لتخصيب اليورانيوم، وصناعة الصواريخ، وكراهية اليهود–الصهيونية، والحرب ضد إسرائيل والتقارب مع الأمة أي الشعب.

إنّ الشرق الأوسط بحاجة إلى توسع القوة المستقلة للعمال والفلاحين ، وإلى الوحدة السلمية بينهم، إذ يشكل ذلك ركيزة اساسية لمستقبل واعد. غير أن مثل هذا الدعم نادر الوجود بين الشخصيات البارزة في الجمهورية الإسلامية. وما يغيب عن مفكري الجمهورية الإسلامية، نجده حاضرًا بين صفوف العمال، والمهاجرين الأفغان الكادحين، وباختصار بين الطبقات الشعبية الحضرية والريفية، التي تحمل بين أيديها وعد المستقبل للبلاد.

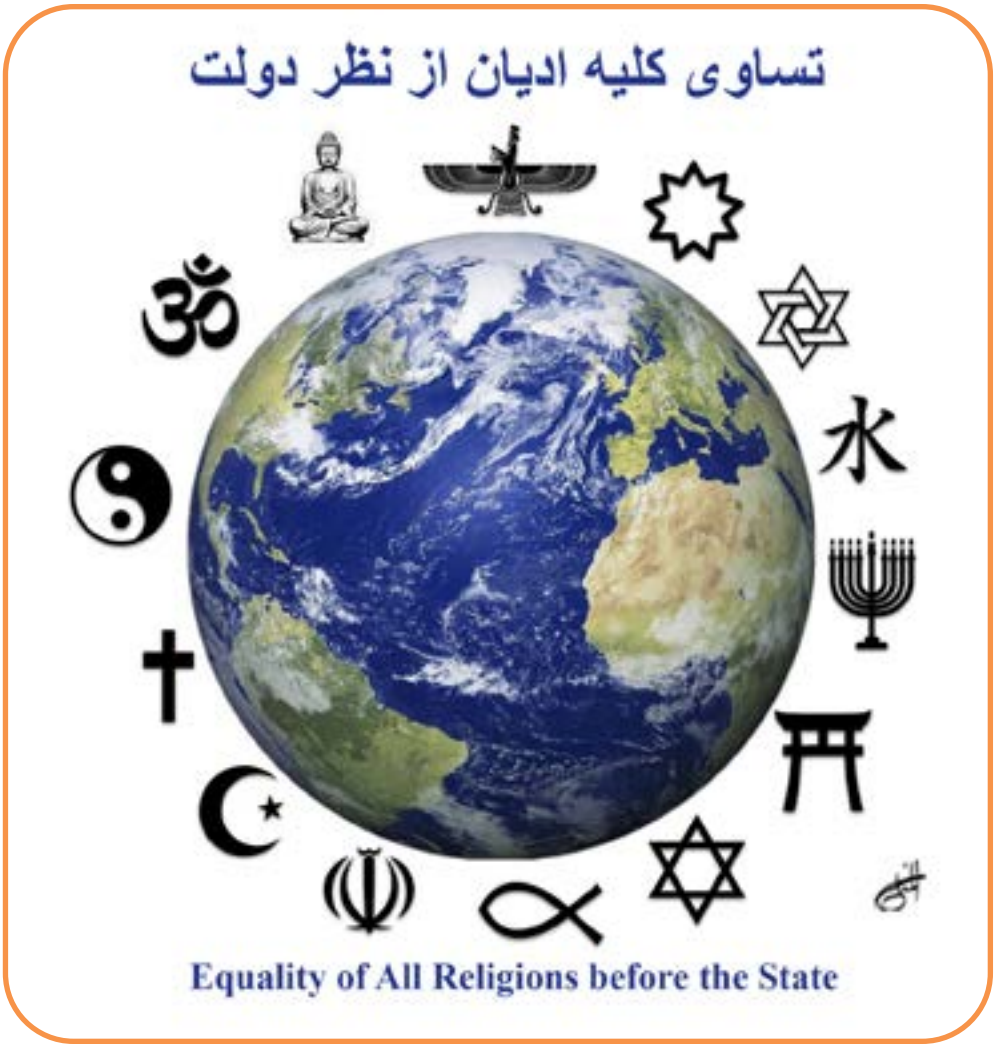

مبدأ المساواة بين الأديان من منظور حكومة العمال

يسأل العمال: هل يوجد دين أفضل أو أسمى من الآخر؟ من وجهة نظر أتباع كل دين، فإن عقيدتهم هي الأفضل. غير أن فكرة وجود دين متوفق ترجع جذورها إلى الملكيات القبلية والنظام الاستبداد الآسيوي، حيث لم يكن لعامة الشعب أي قيمة—وهذا المفهوم لا يمت بصلة إلى حاجات الشعب العامل في العصر الرأسمالي. ومع بروز الرأسمالية—أي تبلور المهام التاريخية للرأسمالية في القرن الثامن عشر في أوروبا وأمريكا الشمالية—أصبحت جميع الأديان من منظور الدولة الرأسمالية الجديدة متساوية، ولا دين يتفوق على الآخر. وبعبارة بسيطة، السنّي يساوي الشيعي. وبينما قد يعتقد أتباع كلا الدينين أن الآخر محكوم عليه بجهنم، إلا أنّ الشيعة تساوي الشيخية والبهائية؛ والمسيحية تساوي الزرادشتية. والشيعة تساوي اليهودية. الشيعة والبوذية، وكذلك الديانات الدرويشية الحديثة، كلها متساوية.

بعد ثورة عام ١٩٧٩، وبسبب هيمنة الشيعة-البازار، أُسدل ستار الحرية الدينية—تماماً كما في زمن الملكية الاستبدادية—من جديد، واستولى فصيل من الشيعة-البازار (بدعم من واشنطن) على الدولة والبلاد. جاء قمع الحرية الدينية متلازماً مع سحق جميع الحقوق المستقلة للشعب. انتُهكت حقوق النساء. انتُهكت حقوق اقوام- الجماعات العرقية و الوطنية. دِيست حقوق العمال والفلاحين. أُلغيت حقوق الطلاب والشباب. وتعرّضت حقوق العمال المهاجرين و العمال الأفغان للهجوم. كما هوجمت حقوق الفنانين والمثقفين—وبكلمة واحدة، جرى الاعتداء على الحريات المدنية والسياسية—من قبل الشيعة-البازار. وقد استمر هذا المسار أكثر من أربعة عقود ونصف.

حتى تكشّفت هزيمة الشيعة-البازار في حرب الـ١٢ يوماً ضد دفاع إسرائيل، وانفضحت تصريحات دعاة تفوّق الشيعة والعنف ضد اليهود وغيرهم باعتبارها جوفاء، الأمر الذي أدّى إلى فقدانهم قاعدتهم الشعبية بشكل

غير مسبوق. إن أسلوب الجمهورية الإسلامية—بوصفه استمراراً للاستبداد البهلوي في الشؤون الاقتصادية الصغرى والكبرى، والمسؤول عن الأزمة الاقتصادية الهائلة—فقد مزيداً من مصداقيته.

يدّعي كتّاب صحيفة شرق أن مشاكل البلاد ناجمة عن "سوء تطبيق الحوكمة والقرارات المتخذة داخل البيروقراطية، التي يشارك فيها هؤلاء السادة بشكل مباشر أو غير مباشر،" وأن هذا القصور يمكن معالجته عبر زيادة قوة التيار الإصلاحي داخل الحكومة. غير أنه، بما أن البلاد " تواجه مخططات الإمبريالية والصهيونية، ونظرية الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات، وتحييد دول المنطقة"، فعلينا "أن نفتح أعيننا ونرى كل شيء في مكانه الصحيح"... ولكن دون أن نفتح أعيننا ولو لحظة واحدة على حقيقة برنامج التخصيب النووي الرجعي والحرب الرجعية من أجل تدمير إسرائيل، اللذين يشكّلان أساس نهج الجمهورية الإسلامية.

إن إضافةً مزيد من الداعمين المعادين لليهود-الصهيونية، وتجمع من دعاة تخصيب اليورانيوم النووي، وبُناة الصواريخ، وأنصار الحرب ضد إسرائيل—سواء من السجناء السياسيين أو من المقيمين في الخارج إلى الكادر الحالي لنظام الشيعة-البازار—فإنّ إدماجهم في الكادر الحالي للنظام الشيعي-البازار لا يمكن أن يعكس الدوامة الانحدارية الذي سقطت فيها الجمهورية الإسلامية. إن طرد مئات الآلاف من الشعب الأفغاني الكادح من البلاد لا يستطيع أن يوقف الحركة الأساسية نحو الاستقلال الوطني والتحرر من الأزمة الاقتصادية العميقة، كما لا يمكنه أن ينهي دورة الفقر والبطالة والتضخم والنقص غير المسبوق في المياه والكهرباء والغاز. إن القمع عبر الاعتقالات والإعدامات لم يحظَ بالتبرير الأخلاقي ولا بالدعم بين الأمة، ملّت.

إنّ كامل الجمهورية الإسلامية والمنظّرين التابعين لها يركزون على الترويج للحلول الإمبريالية التي تستغل القنوات القائمة لنظام الشيعة-البازار، والبرجوازية الليبرالية، وبقايا الملكية، لعرقلة التقدم إلى الأمام لشعب إيران العامل والكادح. إن محو ذاكرة ثورة ١٩٧٩ قدر المستطاع يجري العمل عليه بنشاط من قِبل نظام الشيعة-البازار وحلفائه السياسيين والأكاديميين داخل البلاد وخارجها.

إن التمكين الفعلي للطبقات الشعبية الحضرية والريفية—من خلال تحمّل الهزائم التي مُنيت بها الجمهورية الإسلامية في سعيها الفاشل للهيمنة الإقليمية، والتخصيب النووي، والحرب لتدمير إسرائيل—يزيد من الإمكانيات المستقلة للأمة، ملّت.

إن الحل يكمن في إقامة سيادة مستقلة عن الشيعة-البازار: حكومة الأغلبية، أي حكومة العمال والفلاحين. مسار يمكنه أن يتخلى عن التخصيب النووي، وإنتاج أسلحة الدمار الشامل، والكراهية المعادية لليهود-الصهيونية، والحرب ضد الدولة اليهودية—وباختصار، التخلي عن النزعة العسكرية للشيعة-البازار—وأن يحقق الاستقلال الوطني والحرية، إلى جانب التضامن بين شعوب الشرق الأوسط.

معصومه تابان

تير ١٤٠٤ه.ش. / ٢٠ July

العودة إلى الصفحة الأولى

"معاداة رجال الدين": سلاح الإمبريالية، والبرجوازية الليبرالية، وبقايا الملكية ضد الحرية وتقرير المصير الوطني

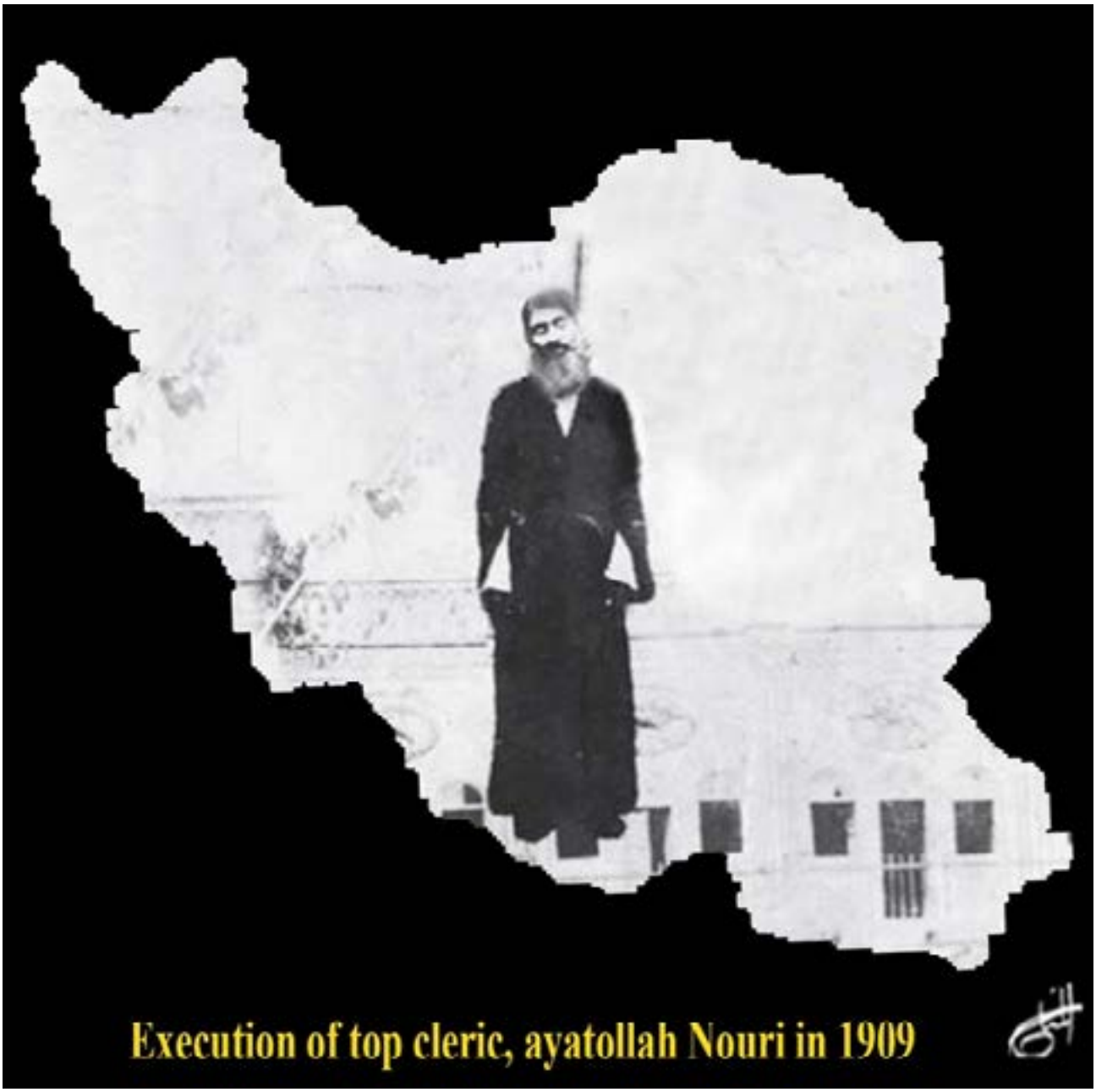

بعد الحرب التي دامت اثني عشر يومًا، نشهد محاولات من التيارات التابعة للإمبريالية، والبرجوازية الليبرالية، وبقايا النظام الملكي، حيث يسعى كلٌّ منها لوضع بصمتهم على هذه الأحداث. لذلك، ينبغي على العاملين الشباب أن يحققوا في الحقائق الكامنة وراء "الطائفية الدينية"، ودورها في السياسات الراهنة، وخلفيتها التاريخية منذ الثورة الدستورية. معاداة رجال الدين تدور حول دفع الطبقات العاملة إلى طريق مسدود سياسيًا، ذلك الطريق الذي تريده واشنطن ورأس المال المحلي في إيران. بعبارة أخرى، فإن نتيجة معاداة رجال الدين هي انحراف طاقة الطبقات الشعبية الحضرية والريفية عن الاستقلال والحرية، لصالح أنظمة استبدادية تعمل ضد مصالح الأمة.

قبل الدخول في مناقشة معاداة رجال الدين، من الضروري أن نفهم أن لهذا الموضوع تاريخًا طويلًا، على الأقل منذ فترة الثورة الدستورية في إيران. فالصراع الرجعي للبرجوازية الليبرالية ضد الدين يعود إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى ثورات القرن الثامن عشر في أوروبا الغربية. على سبيل المثال، خلال الثورة الفرنسية، في بلد كاثوليكي، كانت البرجوازية الليبرالية تعتقد أن الدين يجب أن يقضى عليه تمامًا من المجتمع. ومع ذلك، فأن التناقض بين محاولة الدولة اقتلاع الدين وبين المطالبة بحرية التعبير والديمقراطية دفع الحكومة إلى تخفيف موقفها. وقد تم التعبير عن العلاقة بين الدين والدولة في شكل الفصل بينهما بشكل صحيح في المادة الأولى من إعلان الحقوق المنبثقة من ثورة الاستقلال لعام ١٧٧٦.

خلال مسار الثورة الدستورية في أوائل القرن العشرين، كان قوام القيادة يتألف أساسًا من المشروطه و المشروعه. فما هي أسباب هزيمة تلك الثورة؟ من الواضح أن المسؤولية كانت تقع على عاتق القيادات التي كانت من مؤيّدي القاجار ولم تكن قادرة على التخلي عن دعمها للملكية. هذه الحقيقة البسيطة جرى التخلي عنها. وبدلاً من ذلك، تم اقتراح أن سبب هزيمة ثورة المشروطه هو "الأخوند"، رجال الدين، وأن الشيعة قُدِّمت كمسؤول عن الهزيمة. المؤرخ الشهير أحمد كسروي هو الذي أدخل هذه الرواية الزائفة. وقد تبع كثيرون تقييماته الزائفة بعد ذلك. هكذا فُتح آنذاك فصل الأخوندستيزى، أي معاداة رجال الدين، وروّجت لها البرجوازية الليبرالية بعد ذلك.

واستغلّت دكتاتورية رضا خان، التي يمكن اعتبارها سياسة بريطانية، هذه الموجة لتصل إلى السلطة. فقد حظر رضا خان من ناحيةٍ ظهور الأخوند بملابسهم الدينية في الأماكن العامة، ومن ناحية أخرى أسّس الحوزة العلمية مدرسة قم الدينية. ومن ثمّ فمن الضروري إعادة النظر في قضية الأخوندستيزى بما يتلاءم مع حاجات اليوم.

لحسن الحظ، فإن محاضرة "المؤرخ، الخبير في شؤون إيران، الباحث والكاتب"، الشهير عباس ميلاني، في معهد هوفر في شمال كاليفورنيا، للترويج لـ الأخوندستيزى، يمكن أن تساعدنا في توضيح الموضوع. إن مقدِّم المحاضرة المصوّرة المذكورة يحاول تعزيز الأخوندستيزى بالاستعانة برضا خان. غير أن شروحاته في هذا الصدد تكاد تكون كلّها إمّا زائفة أو خارجة عن السياق؛ وهو ما يتناقض مع المنطق القائم على الوقائع بل وحتى مع المعايير الأكاديمية. في هذه المقالة، وبالشكر للمقدّم، سنوجّه نقدًا إلى العرض، والغاية الوحيدة من ذلك هي توضيح عدد من الحقائق لعمّالنا الشباب. وسنراجع حديثه حول التبريرات لـ الأخوندستيزى وفي الدفاع عن رضا خان.

أولًا – يقول ميلاني إن رضا خان، على عكس ناصر الدين شاه الذي قدّم جميع المناجم والغابات والطرق، وبكلمة واحدة البلاد بأسرها من خلال عقد رويتر، قد جعل البلاد غنية. وفي هذا الصدد، من الضروري إيلاء اهتمام خاص للعصور ما قبل الرأسمالية والرأسمالية. فالقوى الاستعمارية ذاتها التي سعت للحصول على الامتيازات من ناصر الدين شاه، قامت في فترة لاحقة بوضع رضا خان في السلطة وصنعت منه الملكية البهلوية. وبإلغاء الحقائق التاريخية، يُقدِّم المحاضر ناصر الدين شاه كشخص غير مثقف ومنغمس في اللهو، بينما يُصوِّر رضا خان كعكسه. السيد ميلاني مخطئ في كلتا الشخصيتين وفي أفعالهما.

يجب أن نعلم أن عقد ناصر الدين شاه كان في مرحلة ما قبل الرأسمالية، بينما كان عقد رضا خان لبناء السكك الحديدية بعد بزوغ فجر الرأسمالية وبعد هزيمة الثورة الدستورية.

خلال عهد ناصر الدين شاه لم تكن الأراضي والمناجم والغابات والطرق والطرق السريعة تُباع وتُشترى، وبالتالي لم يكن لها قيمة نقدية قابلة للقياس. وفي وضع مشابه، لا يمكن انتقاد سكان أمريكا الأصليين في القرن السابع عشر في ما هو اليوم بيرو لأنهم أعطوا أطباقهم وأدواتهم الذهبية للغزاة الإسبان مقابل مصنوعات لم تكن ذات قيمة. بالنسبة لشعوب أميركا الجنوبية الأصليين، كان الذهب مجرد معدن مختلف، ولم يكن هناك اقتصاد قائم على التبادل والنقود.

كان ناصر الدين شاه يسعى وراء العملة من إمبراطورية القياصرة في الشمال ومن الإمبراطورية البريطانية في الجنوب من أجل التجارة الدولية، وكانت موارد البلاد بالنسبة له، التي وقّع على التنازل عنها، ثانوية. ولو كان ناصر الدين شاه يعرف، مثل سكان بيرو الأصليين، أن قيمة بضائعهم كانت أكبر بكثير مما كانوا يحصلون عليه في المقابل، لما وقّع على مثل تلك الاتفاقيات بتأكيد. لكن مقدِّمنا يحاول تصوير ناصر الدين شاه كشخص جاهل ومنغمس في اللهو (وهي حقيقة تنطبق غالبًا على البهلوبيين وكادرهم خلال القرن العشرين). ووفقًا لمقدّمنا المتحيّز، كان ناصر الدين شاه سيئًا إلى درجة أنه يعطي الملايين ويتلقى آلافًا فقط في المقابل. وهذا مع الأسف يشبه المغالطة. ويحتاج القارئ إلى أن يلاحظ أن في عرض ميلاني يُنسى دور الاستعمار، أي العلاقات البريطانية مع ناصر الدين شاه ومع رضا خان.

هنا، من الضروري أن نصعد بضع خطوات وننظر في إطار النقاش من منظور أعمق. المفتاح لفهم القضية يكمن في إدراك الفرق بين حقبة ناصر الدين شاه وحقبة رضا خان. عصر ناصر الدين شاه يمثل المرحلة النهائية من الصدام بين المجتمع الشرقي الآسيوي القديم والنظام الرأسمالي العالمي. بينما يمثل الأخير الحضور المباشر للرأسمالية الاستعمارية العالمية بعد تفكك المجتمع الشرقي القديم و إيقاعه في فخ من قبل الإمبريالية. وليس من دون سبب أن يأتي متحدثنا من مركز هوفر لمساعدة رضا خان. على أي حال، فإن المراجعة التاريخية—بغض النظر عن مصدرها أو غرضها—تتطلب إعطاء الأولوية للحقيقة.

خلال عهد ناصر الدين شاه، واجهت سلالة القاجار واقعًا لم يسبق له مثيل في آلاف السنين من نظام الحكم الآسيوي السابق، ألا وهو المواجهة مع النظام الاقتصادي-الاجتماعي الرأسمالي. لقد كان النظام الآسيوي القديم يفتقر إلى الاقتصاد السياسي. فمصدر الثروة للحكام السابقين كان خزائن الملوك، ونظام الضرائب، والعائدات من التجار الذين سافروا عبر أراضي التاريخ القديم، والغزوات والنهب. غير أن ناصر الدين شاه اضطر إلى اللجوء إلى حكومتي روسيا وبريطانيا للحصول على قروض وعملة أجنبية من أجل التبادل التجاري الدولي—وهو مورد لم يكن له وجود في البنية التاريخية للنظام الآسيوي القديم. وقد وجدت الملكية القاجارية نفسها مذلولة تاريخيًا أمام هذا الواقع. ويقدّم السيد ميلاني هذا الواقع على أنه تقصير شخصي من ناصر الدين شاه، الذي يُزعم أنه أراد إبقاء بلاده بعيدة عن الغرب، وهو طرح—دون التعبير عن جوهر الأحداث—يعدّ على أقل تقدير عديم المعنى، وفي الواقع يضلل المرء في الفهم الحقيقي للمسألة.

في القرن التاسع عشر، واجه المجتمع الآسيوي/الشرقي المنغلق، الذي ظل يعيد إنتاج نفسه لآلاف السنين، واقع النظام الرأسمالي المتفوّق في تصادم مرعب. تصادم أشدّ إيلاماً من ضربات السوط. ضربات، كما في الأبيات التي يقتبسها ماركس من شيلر، مؤلمة ولكن محرِّرة. لأنه في نهاية هذا المسار المؤلم، يولد في المملكة المحروسة القاجارية شعبٌ قادر في النهاية. (إن النفي الرجعيّ للأمة التي ظهرت في نهاية التاريخ الطويل لآسيا، نتيجة تصادمها مع الرأسمالية العالمية، يظهر في رضاخان. ولهذا يحتفل منظّرو الإمبريالية، والملكيّة، والشيعة-البازار بظهور ردّة فعل رضاخان الرجعية في القرن العشرين) كان المجتمع الآسيوي القديم، في الحقبة ما قبل الإسلام، وفي زمن بروز وعلوّ الزرادشتية، قد شهد العديد من الانتصارات والهزائم. هزائم أدّت إلى سقوط السلالات الحاكمة، مثل انقراض الأخمينيين على يد الإسكندر المقدوني، أو انهيار الساسانيين بعد بروز العرب المسلمين وهيمنتهم. وبعد ذلك، لم يتم إستعادة قيام الإمبراطورية الفارسية القديمة من جديد. بل استمر النظام الآسيوي ضمن الإطار الثابت الذي فيه "الدين هو السياسة".

جميع النزاعات في آسيا القديمة كانت من النوع الذي وقع وفقًا لنمطها الخاص. كان النمو والاختلاط الاقتصادي

والثقافي يتمّ من خلال هذه التصادمات، ولكن النظام الاقتصادي والاجتماعي لم يكن يتغيّر قيد أنملة. أمّا أحداث القرن التاسع عشر فهي مختلفة تماماً.

لقد قُضي القرن التاسع عشر في تاريخ إيران في محاولة لترويض النظام الآسيوي العتيق والمتمرّد. فقد تكبّد فتح علي شاه القاجاري هزيمتَي گلستان (١٨١٣ م) وتركمان چاي (١٨٢٨ م) أمام المجتمع الأكثر تقدّماً في روسيا القيصرية.

ولم يكن لمملكة قاجار المحروسة أيّ حلّ لتفادي هذه الهزائم أو لصدّها. وفي استمرار هذا المسار خسرت مملكة قاجار المحروسة مدينة هرات. وأخيراً، استسلم جيش قاجار في بوشهر (١٨٣٨ م) أمام خمسمئة من الجنود البحريين البريطانيين وتعرّض للهزيمة.

على امتداد القرن التاسع عشر، تحوّلت سلطنة القاجار وجميع أجهزتها الحاكمة فيما بين القبائل والعشائر إلى قاعدة لدخول الاستعمار. وتمّت رحلة ناصرالدين شاه إلى أوروبا واستلامه المال مقابل توقيع المعاهدات ضمن هذا الإطار، وليس بسبب تهاونه أو جهله—فقد تلقّى، كَوَلي عهد قاجاري، أرفع التعاليم الشيعية والأدبية والصيد والفروسية من أفضل المعلّمين المتاحين في بلاط قاجار خلال شبابه في تبريز.

على مدار القرن العشرين، فقد ترك خلفه التطورات التي أنهت السيادة المطلقة للاستبداد الشرقي الوراثي. فقد جرى تعيين رضاخان كوكيل بريطاني. لم يعد الاستعمار بحاجة إلى أدوات عصر الدخول المباشر من خلال العلاقات مع القبائل والعشائر، وأسند قمع الجميع إلى رضاخان، ومنذ ذلك الحين حافظ على علاقات غير مباشرة مع أركان السلطة القديمة. بسبب المقاومة التي أبدتها العناصر القديمة في المجتمع، التي كانت موجودة إلى جانب السلطنة الوراثية القديمة والتي كانت مصدر رزق اقتصادي-أيديولوجي لها، كالبازار والشيعة، فقد كانت له خطة قمعية وترغيبية ضدها. لذلك، فإن سلسلة الاتهامات التي يوجّهها المتحدّث إلى ناصرالدين شاه تنطبق على رضاخان بأضعاف مضاعفة. فلكي يقمع المجتمع، لم تكن القوى الاستعمارية بحاجة إلى رجل مثقّف مطّلع على الثقافة الشاملة للمجتمع القديم، بل إلى شخص يشقّ طريقه إلى السلطة عبر الركل والضرب ولا يحمل تعليماً يتجاوز كونه عسكرياً أو قزّاقياً.

لسنا هنا بصدد استعراض صفحات تاريخ البلاد بعد عزل رضاخان في شهريور ١٣٢٠ هـ.ش./ سبتمبر ١٩٤١ فقد تمّ الإبلاغ عن السعي المستمر للثراء والإدمان في الحقبة التي تلت سقوط رضاخان في صفحات الصحف الإيرانية. فهل كانت استمرارية سلطنة البهلوي بعد نفي رضا شاه مضمونة؟ باستثناء ستالين، لم يكن أي من القوى العالمية يعتقد بذلك. وقد سعت لندن إلى ورثة القاجار لإعادة إحياء السلطنة القديمة. لكن الوريث القاجاري لم يكن يعرف الفارسية ولم يكن يتحدث بها. أما بهلوي الثاني، فقد وصل إلى السلطة مجبرًا من قبل القوى الإمبريالية، وهي السلطة التي ثبتت بانقلاب ٢٨ مرداد (١٩ اغسطس١٩٥٣) الذي نظّمته وكالة الاستخبارات الأمريكية، وتمّ فرض نظام البهلوي-السافاك على الأمة الإيرانية، وانتهى بفضل ثورة ١٩٧٩ هـ.ش.

ثانياً – إن المقارنة الثقافية وشخصيات ناصرالدين شاه ورضاخان، حيث الأول ينتمي إلى ما قبل الرأسمالية والثاني تربّى في مدرسة القزاق العسكرية خلال العصر الرأسمالي، تشهد ضد مواقف واستنتاجات الخطيب. يمكن للقارئ الرجوع إلى مقال دارالحكمه (كارگر، العدد ٢، الدورة ٣) ليرى كيف كان الأمراء والسلاطين في القرون السابقة للرأسمالية يقضون وقتاً طويلاً في مكتباتهم—أكثر حتى من شؤون الحكم—ولم يكن من الممكن أن يكون الأمر خلاف ذلك، لأن الثقافة كانت غالباً محصورة في هذا الفضاء. في النظام الآسيوي القديم، كانت الأغلبية، بحسب تعبير ماركس، تعيش في سباتٍ تاريخي، ولا يملك لهم التاريخ سوى المشقّة، وما يمرّ بهم أو يسمعون عنه يعدّونه من الحوادث الطبيعية كالهزّات الأرضية، ويتعاملون معه غالباً بلا مبالاة. كان النمو الأدبي محصوراً بالنخبة وفي هامش الجهاز الحاكم الآسيوي، ويتمّ ضمن هذه الحدود، ولم يكن الحكّام لا مبالين تجاه الإنتاجات الثقافية، سواء في عهدهم أو من العصور القديمة— كالقرآن الكريم والأحاديث نظام العمل عندهم جميعاً، كما كانت ترجمة الآثار الثقافية لليونان القديمة محلّ اهتمام حكّام الشرق الأوسط.

جلب ناصرالدين شاه فنّ التصوير الفوتوغرافي من رحلته إلى أوروبا إلى إيران، وخلّف صوراً عديدة حتى من داخل حرم القصر، تمنح رؤية عن شخصية السلطان المستبد الآسيوي. وهو نفسه السلطان الذي أمر بقتل ميرزا تقي خان أميركبير(رئيس وزراء أصلاحي). كما أنّ ناصرالدين شاه التقى بالملا هادي سبزواري (مؤلف كتاب شرح المنظومة) الشهير وطلب منه كتابة رسالة حول "الخلق". فهل خطر مثل هذا الطلب على ذهن رضاخان القزاق؟

عُيّن رضاخان حاكماً على إمارات إيران في عصر صناعة وإنتاج النفط، حين كانت البلاد بحاجة إلى الجامعات. فهل أنشأ رضاخان جامعات وفق الحد الأدنى من معايير الحرية الثقافية والنقاش الموجودة في إمارات آسيا القديمة؟ -مثل جوندي شابور قبل ظهور الأسلام ،الجواب: لا. قبل تأسيس الجامعة، كان رضاخان و النهج البريطانية يسعيان إلى إنشاء جهاز قمع سياسي متطرف لم يكن بمقدور أحد إبداء الرأي في ظل القمع الشبه فاشي لرضاخان في إيران. وكان النموذج الأمثل للحكم لدى رضاخان هو إدارة هتلر والرايخ الثالث.

يدّعي المتحدث أن عدداً كبيراً من المثقفين في ذلك الزمان قد تجمعوا حول رضاخان، وأنه يَفترض أن هذا يرفع من القيمة الثقافية لرضاخان. لكن المتحدث لا يذكر أن رضاخان قتل بعض هؤلاء، مثل داور. أما رئيس شرطته آيرَم، فبعد أن شعر بخطر الموت، تظاهر بالمرض وذهب إلى ألمانيا ولم يعد أبداً، وتركه مجتمع المثقفين الذين عرفوه. هذا النوع من تشوية الحقائق لا يندرج حتى ضمن المعايير الأكاديمية للاهتمام بالحقيقة.

إن عصر بروز الصناعة يختلف تماماً عن ظروف ما قبل الرأسمالية، ويُدخل دقة وسرعة مختلفتين في المجتمع. يدّعي المتحدث أن رضاخان كان دقيقاً في المواعيد وكان يبدأ الجلسات في وقتها. فماذا كان مصير من قد يتأخر عن الجلسة؟ ربما كان يتلقى الضرب من رضاخان، أليس كذلك؟ هل كان رضاخان يضرب الناس؟ محمد مسعود، الصحفي الشهير الإيراني الذي كان يصدر صحيفة مرد امروز (رجل اليوم) خلال نمو الحريات السياسية أثناء الحرب العالمية الثانية، نشر صورة وتفصيل حادثة خروج رضاخان من چالوس أثناء حكمه الاستبدادي، حين ضرب الوالي أمام الحاضرين الواقفين احتراماً لدخول الملك، بجانب بركة قصر المحافظة. ماذا يعني ذلك؟ نسأل السيد ميلاني: هل كان المذكور "بلطجياً"؟ وطبعاً متحدثنا بتواضع يقول إن رضاخان لم يكن ليبرالياً!

صحيفة مرد امروز وصفت سقوط دكتاتورية رضاخان التي استمرت عشرين عاماً بهذا الشكل: "طعام عشرين سنة تقيّأ خلال عشرين ثانية"! قارنوا هذه الحقائق التي عايشها الشعب الإيراني مع صورة رضاخان التي غلفها المتحدث. والآن بعد مرور قرابة ثمانين سنة، حيث الزمن أتاح للمتحدث التعبير عن رأيه، فإنه يفضّل إنكار الحقائق رغم امتلاكه لعشرات أضعاف ما كان متاحاً لمحمد مسعود من مصادر ومكتبات. ينبغي أن نسأل المتحدث: مع هذه الأوصاف لرضاخان، أليس من الأفضل لكل من مجتمعات أميركا الشمالية وأوروبا الغربية أن كانوا بدلاً من القيام بثورات من أجل الحرية، قد اخترعوا كل واحدٍ منهم رضاخاناً وأنهوا التاريخ "في وقته المحدد"!؟

ثالثاً – يقول المتحدث إن رضاخان أنشأ سكة الحديد من خلال فرض الضرائب على السكر والحلويات، وجنّد لها عشرات الشركات الأجنبية، "اثنان وأربعون دولة" أجنبية لهذا المشروع—وهو ما كان يسعى إليه ناصرالدين شاه لكنه لم يُنفّذه. المتحدث يتجنب الإشارة إلى مضمون الحدث التاريخي. ففي عهد القاجاريين تم إنشاء سكة حديد محدودة بين طهران والمراكز الزيارات الدينية.

تمّ تعيين رضاخان من قبل الإنجليز عبر انقلاب ١٢٩٩ هـ.ش(١٩٢١م). في مواجهة انتصار الثورة البلشفية عام ١٩١٧ في إيران. وبادّعاء التحديث والأصلاح، جذب إليه عدداً من أنصار الثورة الروسية. روسيا القيصرية، التي ابتلعت أجزاء من شمال غرب مملكة قاجار المحروسة خلال القرن التاسع عشر، اختفت من الوجود بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧، ولم يكن عدد المثقفين الذين هلّلوا لهذا الحدث بقليل. من هؤلاء كان سيد ضياء، الذي كان في روسيا وقت الثورة عام ١٩١٧، ويقول: "رؤية هذه الأحداث كانت غير قابلة للتصديق بالنسبة لي".

كانت القوى الإمبريالية تطارد خطة الوصول السريع إلى حدود الاتحاد السوفيتي في شمال إيران لأهداف عسكرية، وتابعت تنفيذ مشروع إنشاء السكك الحديدية

بتمويل من حكومة إيران. دون أي كلفة عليهم؛ تموّلها ضرائب ومداخيل النفط الإيراني.

إن الوثائق التي يستشهد بها المتحدث تدحض ادعاءاته. فليس السكك الحديدية وحدها، بل جميع الطرق والأنفاق التي تصل إلى شمال البلاد هي منشآت عسكرية. لا يوضح المتحدث لماذا لم يستدعِ رضاخان اثنتين وأربعين دولة لبناء معامل صهر الحديد وغيرها من المنشآت الصناعية الأساسية في إيران؟ السبب أن البناء الأساسي، كصناعة النفط، والسكك الحديدية، وصناعة الفولاذ، كان خارج نطاق قرارات رضاخان تمامًا، وكان مجرد أداة لقمع الأمة في بلاده. سُمح لرضاخان بإنشاء عدد محدود من الصناعات الخفيفة مثل النسيج، ولتأمين حاجات هذه الصناعات الخفيفة أرسل عدداً من الطلاب الذكور للدراسة في الخارج.

إن صورة الواقع تختلف تماماً عن ادعاء المتحدث بعدم اهتمام إيران بـ"الغرب" في عهد القاجار. فهل في عهد رضاخان شخصية تعادل سيد جمال الدين أسدآبادي، الذي سافر إلى الخارج وحاول شرح نظريات التشيّع في حوار مع الثقافة الغربية؟ وهو ليس الوحيد. المتحدث، في تناقض مع معيار احترام الحقيقة، يقوم بالتشويه متى يشاء، ويعرض الواقع بشكل مغلوط أو غير صحيح إطلاقاً كلما كان ذلك يخدم أجندته. هدفه الضئيل ليس إلا فرض معاداة رجال الدين، ولا شيء أكثر من ذلك.

رابعاً - يدّعي المتحدث أنّ رضاخان كان يريد أن تشارك الفتيات والنساء في المجتمع. لكنّ صور تنقّل النساء في المراكز العامة في عهد القاجار تُظهر عكس ما يدّعيه المتحدث، ولا تدلّ على ظلامٍ مطلق يكتنف وضع النساء: فقد أُسّس العرفان الإسلامي في تاريخ الشرق الأوسط من قِبَل امرأة، رابعة البصري، قبل أكثر من ألف عام. وفي تاريخ الإسلام، للنساء حضور في الصراعات الطائفية بين الشيعة والسنّة، وكذلك في الكتب الأسطورية مثل الشاهنامه. مرّةً أخرى، يغفل المتحدث عن اهمية ثورة أكتوبر التي حدثت في عهد رضاخان والتي حرّكت نضال النساء في أنحاء العالم.

يدّعي المتحدث أنّ رضاخان أراد أن تذهب الفتيات والنساء إلى المدرسة وأن يكنّ مساويات للرجال. لكنه غافل عن أنّ هذا الأمر لا ينطبق على بنات ونساء رضاخان نفسه. فقد أُرسل أبناؤه الذكور فقط للدراسة في الغرب. ولم تكن بناته يدرسن حتى في الجامعات المحلية. أما حقّ التصويت للنساء فقد جاء بعد عقود عبر "الثورات البيضاء أو الخضراء" المقترحة من واشنطن في إيران. أما بنات كوادر حكومة رضاخان فقد أمكن لبعضهن أن يدرسن بضع صفوف دراسية، في حين أن كوادره الحاكمة، شأنهم شأنه، كانوا يعارضون حضور النساء في المدارس والجامعات، و أجبرن فقط على حضور المراسم الرسمية الاستعراضية سافرات بجانب الرجال.

ولماذا، من أجل مشاركة النساء في المجتمع، كان لا بدّ من أن تُمزّق ملحفة، نقاب، أغطية رأس الفتيات والنساء في الأماكن العامة تحت أقدام رجال الشرطة؟ إنّ كشف الحجاب على الطريقة الرضّاخانية كان يعني نفي النساء المحجّبات – أي الغالبية – إلى زوايا البيوت، وإخراجهن من الفضاء العام. مثل هذا العنف ضد النساء لا سابقة له في قرون من تاريخ الشرق الأوسط. إنّ تبرير هذا الاعتداء المنفلت على حقوق النساء والدفاع عنه من قبل متحدثنا مدعاة للخزي الأكاديمي.

بعد جمود المجتمع نتيجة تأييد قيادة الجبهة الوطنية وستالين الملكية بهلوي الثاني وفرض انقلاب ٢٨ مرداد ١٩٥٣ هـ.ش. وإرجاع التاريخ إلى الوراء، وبعد ظهور جيل جديد وثورة١٩٧٩. التي أطاحت باستبداد بهلوي، شهدنا عودة وردّاً على كشف الحجاب الرضّاخاني في الجمهورية الإسلامية واستمرار آثاره السلبية.

خامساً - يدّعي المتحدث أن رضاخان جلب الحقوق الديمقراطية إلى إيران! في الواقع، وخلال عشرين عاماً من الحكم الاستبدادي، تحوّل رضاخان إلى أكبر مالك للأراضي في إيران. تبدأ الحقوق الديمقراطية من حقوق الفلاحين في الأرض، على الأقل على غرار إلغاء نظام عبودية الفلاحين في روسيا القيصرية في منتصف القرن التاسع عشر، وهي من أعظم وقائع ذلك العصر إلى جانب إلغاء العبودية في الولايات المتحدة. وتشمل الحقوق الديمقراطية حقوق النساء، لا سحق النساء المحجّبات. وتشمل أيضاً الحقوق القومية للأعراق والعشائر الإيرانية، والتي قمعها رضاخان جميعاً. وتشمل كذلك حرية التعبير والتجمع، التي كان رضاخان على عداء لها بلا حدود.

سادساً وختاماً - كيف حصل أن السيد ميلاني لجأ إلى رضاخان وانخرط لتشويه الحقائق؟ لب خطاب متحدثنا هو معاداة رجال الدين. ومن أجل الدفع بهذا الموقف، استحضر رضاخان ولجأ إلى تحريف الحقائق على هواه يسأل العمال الشباب: كيف أصبح متحدثنا من دعاة معاداة رجال الدين؟

إنه يتحدث عن سفر ناصرالدين شاه إلى الغرب وإرساله الطلاب إلى الخارج، لكنه هو نفسه كان يدرس في الخارج، وعاد إلى البلاد مع جماعة من ذوي الفكر المشابه. إن الأعباء والتجارب المتراكمة التي يحملها متحدثنا ورفاقه تتمثل في "محاصرة المدن من خلال الأرياف" وما شابه ذلك، وهي أفكار تعود إلى الجيل الأول من التيار السياسي الماوي. وفي النهاية قد أدى نشاط هذا التيار إلى السجن والمحاكمة على يد السافاك.

كان نظام بهلوي يسمّيهما معركة ضد الرجعية "الحمراء" و"السوداء". فإن أتيت من خلفية حمراء، كان عليك أن تروّج ضد الرجعية السوداء، أي الشيعة، كي تكون حرّاً وتحظى بمنصب في نظامه. وإن أتيت من خلفية إسلامية، وجب عليك أن تروّج ضد الماركسية. فهل تغيّرت آراء المذكور، وهو من الخلفية "الحمراء"، في ظل هذه التحولات؟ إن الأعمال المتنوعة التي كتبها السيد ميلاني في مجال تاريخ إيران وشخصياتها، تُعرض بنفس الأسلوب الموجود في حديثه المصوّر الذي تمّ إنتقاده في هذا المقال، وعلى الرغم من مجلداتها العديدة للأسف لا تقدم فهم الحقائق والتفكير الاجتماعي إلى الأمام. مجمّدون في نزعة معاداة رجال الدين قبل وبعد اعتقال السافاك، يكرر أصحاب هذا النهج نفس الخطابات اليوم في ثوب أكاديمي. زعيم هذه النزعة، برويز نيكخواه، للأسف الشديد، أُعدم بعد الثورة عام ١٩٧٩ وفق معيار عقوبة الإعدام الذي طُبق على المتعاونين مع نظام الشاه من اتجاهات حرب الغوريلا-الشعبوية والماوية. للأسف، متحدثنا لا يحمل درساً من التاريخ يلبي إحتياجات العمال والكادحين في إيران، ويواصل متابعة مصالح القوى لا وطنية وأمم دون احترام للحقائق. بدل أن ينظر إلى مستقبل إيران في ظل اتحاد مستقل بين النساء والعمال والفلاحين، والشيعة واليهود، وحرية الأديان كافة، يلتفت إلى الماضي المظلم والرجعي للبلاد.

النموذج الأبرز لمعاداة رجال الدين هو شنق آية الله نوري عام ١٩٠٩ ميلادي. خلال أقل من شهر على شنق نوري، تم نزع سلاح مجاهدي الثورة الدستورية، وهم كانوا الأجهزة المسلحة للأمة، وحُلّت. وبعد ذلك بقليل مستهدف للاغتيال ستارخان وتوفي لاحقاً متأثراً بجراحه. ومع حلّ مجاهدي الثورة الدستورية، انتقل مركز ثقل السلطة الحكومية من منظمات الأمة إلى البرلمان، ومن البرلمان إلى مجلس الوزراء. وفي مجلس الوزراء، استولى قزّاق متفرّد على السلطة عبر الضرب والإهانة. لذلك، فإن مدح رضاخان يهدف إلى تجريد الأمة من السلطة. العمال الشباب يعلمون: "اگر حکم شود که مست گیرند، درشهر هر آنکه هست گیرند"، "إن صدر الحكم باعتقال السكارى، فسيُعتقل كل من في المدينة". معاداة رجال الدين تهدف في النهاية إلى منع تنظيم مستقل لشعب الكادحين، وإغلاق الطريق أمام الوصول إلى آمال الاستقلال والحرية الوطنية في البلاد.

دارا برزگر

تير ١٤٠٤ هـ.ش.

العودة إلى الصفحة الأولى

معيار متفاوت لقياس الحق والباطل

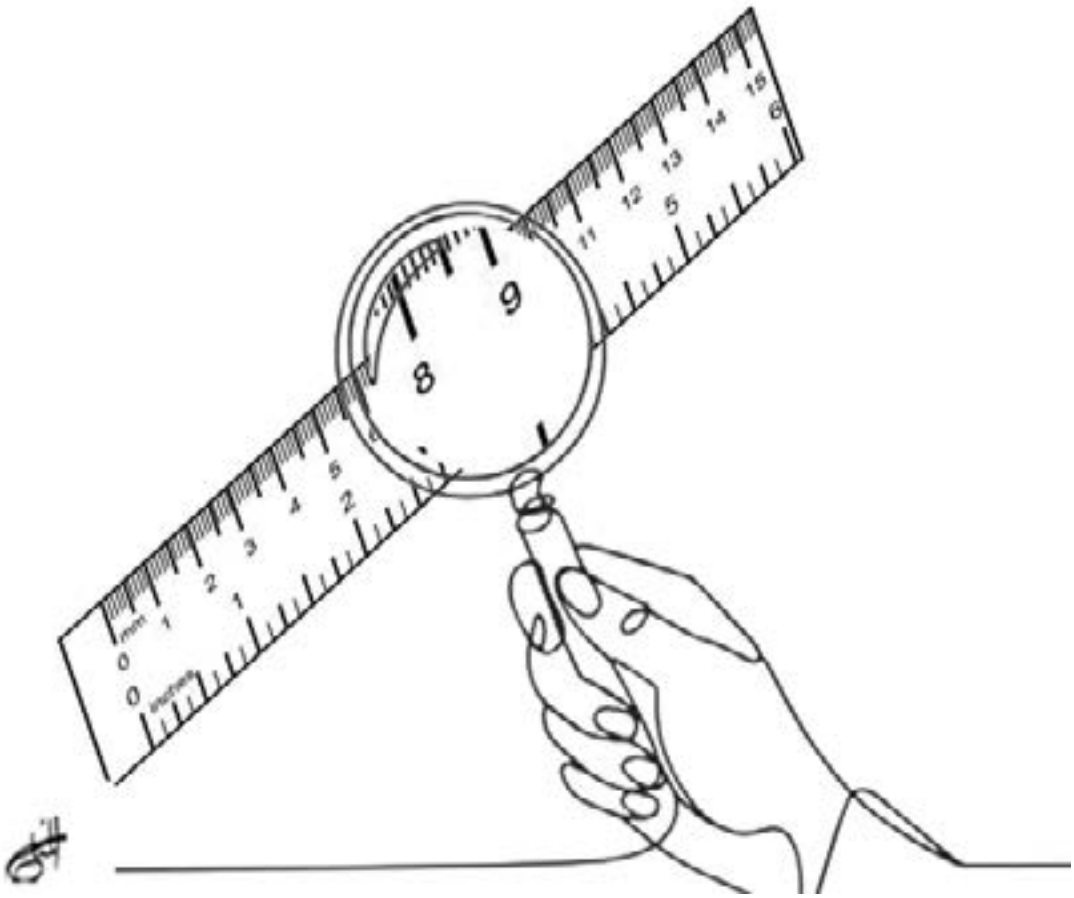

يسأل أحد قراء مجلة *كارغر*: لماذا لا تعترف مجلة *كارغر* بالدمار وعدد الضحايا في غزة أو لبنان؟، ولماذا لا تتحدث عن الإبادة الجماعية في فلسطين أو لبنان؟ يقول: "أنا لا أوافق على الأتهام بأن إسرائيل ترتكب إبادة جماعية ضد الشعب الفلسطيني ما هو ردكم على هذا؟"...

يرد بويا رهگذر: يصر كُتّاب كارگر، رغم تعاطفهم مع معاناة وآلام جميع البشر، على عدم تهميش المجزرة واغتصاب النساء في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، في جنوب إسرائيل بواسطة دعاية الرأسمالية المالية —مقتل أكثر من ١٢٠٠ شخص، وأخذ أكثر من ٢٠٠ شخص كرهائن من الرضّع إلى كبار السن من الرجال والنساء، واستمرار الاعتداءات الجنسية على النساء خلال فترة الأسر. يبدو أن معظم التعاطف الزائف، المعبر عنه تجاه الشعب الفلسطيني من قبل الرأسمالية المالية العالمية ووكلائها في كل أنحاء العالم، يهدف إلى نزع الشرعية عن حق الدولة اليهودية في الدفاع عن النفس. بعبارة أخرى، كيف يتجرأ الشعب اليهودي على أن يسمح لنفسه بالمقاومة، على عكس المعيار التاريخي للهولوكوست، ويُظهر أي شكل من أشكال الدفاع عن النفس في وجه

العنف المعادي لليهود؟ ليس من المفترض أن يدافع اليهود عن أنفسهم أو أن تكون لهم دولة، وتسعى الرأسمالية العالمية—عبر دعاية زائفة—إلى شيطنة دفاع الشعب اليهودي الشجاع عن حقه في الوجود. يتبع موقف النخبة الحاكمة الشيعية البازارية ومنتقديها في الحكومة نفس النهج. لكن دفاع إسرائيل عن نفسها منذ ٧ أكتوبر قد غير الشرق الأوسط بأسره، وتواجه سياسة الجمهورية الأسلامية حالياً معضلة لا مثيل لها.

لا تعكس مجلة *كارگر* سوى وجهات النظر السياسية للطبقة العاملة—أي الحقائق الموضوعية الخالية من الدعاية المضللة للجهاز الرأسمالي المالي ووكلائه العالميين. وإن تفاصيل الأحداث الجارية من مسؤولية المؤسسات الإخبارية المستقلة.

ومع ذلك، من وجهة نظر الطبقة العاملة، فإن الضحايا والدمار في جبهة الحقيقة وجبهة الزيف ليسوا سواءًا. لذلك، لا يمكن تطبيق معيار واحد لقياس هاتين الجبهتين

الدفاع المشروع لإسرائيل ضد حرب الجمهورية الإسلامية وخطتها لهولوكوست ثاني

في سياق دفاع إسرائيل عن وجودها في مواجهة الجمهورية الإسلامية منذ السابع من أكتوبر، حين سرّعت طهران من سعيها للحصول على الأسلحة النووية، تم تدمير أجزاء كبيرة من المنشآت الصاروخية والمنشآت تخصيب اليورانيوم للجمهورية الإسلامية خلال الحرب التي استمرت ١٢ يوماً باعتبار ذلك ضرورة. وقد كُشف موقف الإمبريالية وداعميها في دعم الزيف منذ السابع من أكتوبر للقراء وتم تحليله في أعداد سابقة من *كارگر*.

اليهود الذين نجوا من معسكرات النازيين بعد هولوكوست الحرب العالمية الثانية—أولئك الذين طُردوا من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية—دُفعوا إلى أرض الأجداد التي نشأت فيها اليهودية ، وفي عام ١٩٤٨ أسسوا دولتهم الخاصة. ومنذ تأسيس إسرائيل، خضعت الدولة اليهودية لعقود من الحصار العدائي من قبل دول معادية لليهود في الشرق الأوسط—دول ترى في معاداة الصهيونية وسيلة لمنع شعوبها من التحرك بشكل مستقل. واستمراراً لهذا النهج، إن كتلة الشيعة-البازار الحاكمة بعد ثورة ١٩٧٩ في إيران، ولذات الأسباب المعروفة المتمثلة في حرمان الناس من حقوقهم (حقوق النساء، والأقليات الدينية والعرقية، والعمال والفلاحين، والفنانين والمثقفين، وغيرهم)، بدأت بالتخطيط لحرب نووية ضد إسرائيل واستهدفت الشعب اليهودي بصواريخ فرط صوتية. تركز *كارگر* على الدمار الذي طال الارواح البشرية والحضارة الناجم عن الهجمات الصاروخية العشوائية لإيران. عشرة في المئة من القذائف المتفجرة للجمهورية الإسلامية اخترقت خطوط الدفاع الإسرائيلية، مما أدى إلى مقتل العشرات وتدمير آلاف المباني السكنية والمستشفيات الكبرى. هذا الدمار هائل. ومع ذلك، فإن الشعب اليهودي قد صمد لأن أياً من هذه الصواريخ لم يحمل رؤوساً نووية. وبفضل دفاع إسرائيل، تم تأجيل برنامج الجمهورية الإسلامية النووي مؤقتاً.

إذا نظرنا إلى صحافة الجمهورية الإسلامية، فسنجد أن السرد مقلوب—محاولة لعرض صورة زائفة عن كونها ضحية. على سبيل المثال، امرأة حامل لقيت حتفها، أو أب كان واقفاً قرب سجن إيفين وأصيب في عنقه بشظية وفقد حياته. هذه الوفيات المأساوية تثير أولاً وقبل كل شيء السؤال التالي: لماذا، على عكس قادة الجمهورية الإسلامية، لا يمتلك الناس العاديون إمكانية الوصول إلى الملاجئ المضادة للقنابل؟ يسأل العمال الإيرانيون: هل الحرب التي تشنها الجمهورية الإسلامية ضرورية؟ هل من الممكن ان تحل الأسلحة النووية النزاع بين حقوق الشعب الأيراني واليهودي، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ؟ بعبارةأخرى، هل من الممكن تجاهل المطالبة طويلة الأمد بالأستقلال والحرية؟

اللوم في الوفيات في إيران يقع على عاتق حكومة شرعت في حرب تهدف إلى إبادة إسرائيل وإقامة هولوكوست ثاني. وينطبق هذا أيضًا على القادة العسكريين والنوويين للنظام. لماذا يجب أن يشارك عالم نووي في بناء قنبلة نووية، ولماذا ينبغي حتى لعائلته أن تجهل هذا المشروع الرجعي للدولة؟ ووفقًا لبروباجاندا النظام، فقد قيل لزوجة العالم النووي وأطفاله إنه مجرد مقدّم شاي في صفوف الحرس الثوري. لماذا يجب أن يكون لدى القوات المسلحة الإيرانية قادة ملتزمون بقتل اليهود؟

في الواقع التاريخي، يشترك العامل الإيراني والعامل الإسرائيلي في موقف تضامني مشترك ضد حرب تهدف إلى قتل اليهود. لذلك، تروّج نشرية كارگر للتضامن ووحدة العمال الإيرانيين والإسرائيليين. في الاتجاهات السياسية للبرجوازية الصغيرة والمدافعين عن حقوق الإنسان والبرجوازية الإيرانية، لطالما كان هناك بحث عن فرص لإدانة إسرائيل.

أيها القارئ العزيز، بعيدًا عن المسألة الحالية المتعلقة بإيران، يمكنك أن تطلع بنفسك على وقائع تاريخية لا نفصّلها هنا. مثل الحرب التي استمرت ثماني سنوات بين العراق وإيران، حيث كان الحق إلى جانب إيران لن نتحدث عن كيفية قيام قيادة الشيعة-البازار بقمع الأستقلال السياسي في إيران وتحويل هذا المسعى النبيل إلي مذبحة دموية للشباب الايرانين في ذلك الوقت. سيطرت جماعات(مثل رفسنجابي وشمران وغيرهم) على جهود الحرب في أيران وحملت إيران وليس العراق المسؤولية عن هذا الصراع.

من أجل إلقاء اللوم والمسؤولية عن الحرب على إيران، غالبًا ما شجبت الفصائل السياسية للبرجوازية الليبرالية والتنظيمات الشعبية المسلحة كلا الطرفين على حد سواء طوال الحرب العراقية الإيرانية، متجاهلة الصراع بين الثورة والانقلاب لإلقاء اللوم على إيران.

إرث الحركة الثورية: معايير مختلفة للحقيقة والباطل

على غرار الدعاية المضللة حول الإبادة الجماعية في غزة خلال السنوات الأخيرة، كان تصوير الباطل كضحية هو النموذج الأساسي لدعاية الرأسمالية المالية طوال القرن العشرين. كانت تقنية الدعاية الاساسية للراسمالية المالية تاريخياً هي هذا النهج. إن الأحداث التي سبقت وتلت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧،والتي ميزت العصر الثوري منذ ذلك الحين. تقدم للشباب اليوم معايير دقيقة لأتخاذ القرارات.

بعد ثورة أكتوبر، واجهت الدولة العمالية الفتية حربًا أهلية كبيرة. في الحرب الأهلية (١٩١٨–١٩٢١)، واجهت روسيا السوفيتية الحمراء روسيا البيضاء المضادة للثورة والمدعومة من قبل الدول الإمبريالية. في خضم هذه الفوضى، كتب كارل كاوتسكي كتابًا بعنوان "الإرهاب والشيوعية"، أشار فيه إلى الخسائر البشرية والحضارية في الحرب الأهلية الروسية، ووصف أول دولة عمالية في تاريخ البشرية ليس كنتاج للشيوعية بل كممثل للإرهاب. لقد أُدينت جهود العمال والكادحين الروس لتأسيس حكومتهم الخاصة باعتبارها إخلالًا بتوازن النظام الرأسمالي—وذلك في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، كان كاوتسكي يُعتبر زعيماً للديمقراطية الاجتماعية الألمانية.

تحت قيادة كاوتسكي، صوّتت الديمقراطية الاشتراكية الألمانية بالإجماع لصالح "قروض الحرب"، مقدِّمَة دعمها للبورجوازية الألمانية ولنظام القيصر فيلهلم الثاني (في ٤ آب/أغسطس ١٩١٤)، وقد أدارت بذلك فعليًا ظهرها للطبقة العاملة في ألمانيا والعالم. وفي استمرارٍ لهذا المسار، ظهر التيار الاشتراكي الديمقراطي كمدير للرأسمالية والحرب الإمبريالية، وهو الدور الذي لا يزال هذا التيار السياسي يتبعه حتى اليوم (يمكن للقارئ أن يتابع مرشحًا مشابهًا للاشتراكيين الديمقراطيين من نوع كاوتسكي في انتخابات مدينة نيويورك لإدارة الرأسمالية؛ هذا المرشح مدعوم من قبل الطبقات الوسطى وليس من الطبقة العاملة). بعد عام ١٩١٤، وفي سياق هذا التوجه في خدمة الرأسمالية بدلًا من حركة عمّالية مستقلة، اتخذ كاوتسكي أيضًا موقفًا معارضًا من ثورة أكتوبر ١٩١٧، ولقب دفاع السوفييت في الحرب الأهلية بأنه إرهاب. وقد ذكره قادة الثورة أكتوبر أنه عند التمييز بين الحق والباطل لا يمكن استخدام معيار واحد عند تقييم الخسائر البشرية والحضارية في الحرب. كما أن استخدام معايير تقدّمية لقياس الرجعية والثورة المضادة، التي تسعى إلى إبادة البشرية، هو على الأقل أمرٌ عبثي، وفي الواقع لا يعدو كونه دعاية زائفة.

الحركة الثورية للطبقة العاملة، وكذلك حركات التحرر الوطني—والتي تُشكِّل أساس التقدم التاريخي في عصر الرأسمالية المالية—تمتلك معاييرها الخاصة في التقييم. هذا المفهوم، بعد ثورة أكتوبر، أصبح قابلاً للتطبيق على الثوريين في جميع أنحاء العالم. إن استمرارية الفكر السياسي الثوري تُعدُّ دليلاً لتقييم العدالة بصورة صحيحة في العصر الحاضر. أما الكوارث المفروضة التي ما تزال منقوشة في صفحات التاريخ، فإنها تنبع من الرجعية.

وتشمل هذه الكوارث عشرات الملايين من القتلى، مثل الكوارث المفروضة للحربين العالميتين الأولى والثانية، واستخدام القنابل النووية على هيروشيما وناغازاكي من قبل الإمبريالية العالمية ضد الإنسانية. وفي هذا السياق، فإن الطبقة العاملة في ألمانيا وإنجلترا، وعلى عكس ما تصوره أفلام هوليوود، وقفت في وحدة موضوعية ضد حكامها. في الحقيقة ، فأن سياسات حماس الرجعية ودعم مؤيديها في جميع أنحاء العالم هي المسؤولون عن الدمار الذي يحدث في غزة.

بعد الحرب العالمية الأولى، أصبحت مواقف كاوتسكي نموذجاً للدعاية الزائفة التي تستخدمها الرأسمالية المالية وأجهزتها الدعائية. بمعنى آخر، فإن الإمبريالية تفترض أن الحق والباطل متساويان ومتكافئان، وتستخدم مقياساً واحداً، ومن خلال هذا النهج، فإنها تزيّف أي تقييم حقيقي للعدالة، وتركّز دعايتها على مقاييس زائفة. جميع الأنظمة التعليمية تحت هيمنة الرأسمالية المالية تُدرّس هذا الموقف الزائف وتعرض التاريخ وفقاً له. وأيضًا الشرائح الفكرية، فهي غالباً ما تتجاهل مثل هذه الحقائق البديهية لمجتمع طبقي. ومع ذلك، فإن العمال في كل بلد يتعلّمون طريق الوحدة مع عمال البلدان الأخرى من خلال التجربة المشتركة في الاستغلال الرأسمالي، والحروب الإمبريالية، والتوق الغريزي للسلام.

فيما يتعلق بحرب حماس لقتل اليهود—وهي الحرب التي تدعمها الجمهورية الإسلامية و"محور المقاومة" ضد إسرائيل—والتي كشفت في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ عن أكبر مقتلة لليهود منذ الحرب العالمية الثانية، فقد ركّز جهاز الدعاية التابع للرأسمالية المالية فوراً على الجراح التي لحقت بفلسطين، وهو تركيز مستمر حتى يومنا هذا. غير أن جميع تحضيرات حماس لإلحاق الأذى البشري والمادي لم تكن موجَّهة فقط إلى اليهود الإسرائيليين، بل شملت أيضاً سكان غزة. إن الدمار الملحوظ في غزة كان نتيجة لسياسة حماس الرجعية، التي من خلال دعاية زائفة معادية لليهود ومعادية للصهيونية، قد أعاقت دعم الفلسطينيين لحق إسرائيل في الوجود.

لقد رفض الذكاء الاصطناعي—AI/ChatGPT—أيضاً ترجمة نص قصير حول أحداث السابع من أكتوبر إلى اللغة الإنجليزية. إن الذكاء الشامل للرأسمالية المالية، سواء كان بشرياً أو اصطناعياً، يقف إلى جانب حماس ويُظهر معاداة عميقةً لليهود. أما الموقف العادل وفقاً للإمبريالية (إلى جانب الأمم المتحدة والجامعات النخبوية في الولايات المتحدة)، في أحداث ٧ أكتوبر، فهو الدفاع عن "فلسطين" وتعبئة الرأي العام—كمهمة رئيسية. ومن الواضح لماذا لا تنخرط نشرية كارگر في هذه الدعاية الدنيئة. إن كارگر تحدد وتروّج للموقف المستقل للطبقة العاملة. هذه النشرية ترفض أن تتصرف مثل التيارات السياسية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة—تلك العناصر الراديكالية من الطبقة الوسطى التي تسابق الزمن حتى لا تتخلّف عن الركب. بل إنها تقف علناً ضد هذه الدعاية وتُعلن الحقيقة بوضوح: الطرف المسؤول عن الضحايا والدمار في غزة هو حماس وداعموها على مستوى العالم. إن كارگر لا تخضع، ولو لحظة واحدة، للدعاية المعادية لليهود والمعادية للصهيونية التي تبثها الرأسمالية، والتي تُعدُّ سُمّاً لحركة العمال المستقلة.

معيار تقييم العدالة في الحروب السابقة عبر التاريخ

قبل القرن العشرين، في أواخر القرن الثامن عشر، كانت العدالة في حرب الاستقلال التي أدت إلى تأسيس الولايات المتحدة إلى جانب الباتريوت Patriots الأميركيين، وليس إلى جانب الملكية البريطانية. أو في الحرب الأهلية في الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر، كانت العدالة إلى جانب الشمال، وكانت الحرب مفروضة من قبل نظام الجنوب القائم على امتلاك العبيد.

وفيما يتعلق بالحروب الكبرى في القرن العشرين أيضاً، فإن فهم التاريخ لا يكون ممكناً إلا من خلال تقييم ما هو حق وما هو باطل. إن العديد من التعاليم الزائفة حول الحربين العالميتين الأولى والثانية تروّج لها التيارات السياسية المناهضة للطبقة العاملة. وهذه التعاليم تستند أساساً إلى أفلام هوليوود—إلى درجة أن الأفراد غير المطلعين يعمدون إلى مقارنة دفاع إسرائيل عن نفسها في حرب الأيام الاثني عشر بقصف بريطانيا لبرلين في الحرب العالمية الثانية، ويعاملونهما كأنهما متكافئان، بينما يدّعون أنهم يعرفون التاريخ.

في الحربين العالميتين الأولى والثانية، كان العمال في ألمانيا وإنجلترا، واليابان والولايات المتحدة، يقفون على قدم المساواة. فقد واجه العمال في الدول الرأسمالية المتحاربة—تماماً مثل العمال في فرنسا والولايات المتحدة، وألمانيا واليابان—واجباً في معارضة برجوازيتهم الخاصة، وتمسّكوا بموقف الوحدة مع بعضهم البعض. وهكذا، فإن العمال الروس، تحت شعار "الأرض، الخبز، والسلام"، انتصروا على برجوازيتهم الخاصة خلال ثورة أكتوبر عام ١٩١٧. وبدلاً من تغذية الكراهية ضد العدو الألماني على أساس الدفاع عن الوطن الروسي—كما اقترح القيصر والبرجوازية الروسية—تبنّوا موقف الوحدة مع العمال الألمان، وحققوا الأممية العمالية. في الحرب العالمية الثانية، كان قصف برلين من قبل الحلفاء يتم بدافع القتل الجماعي للعمال الألمان. ويُروى أن مساعد تشرشل قال له: "بكمية النابالم التي ألقيناها على برلين، لن ينجو حتى كلب أو قطة." فأجابه تشرشل: "أحب رائحة النابالم. استمروا." وعلى الجانب الآخر، شنّ ستالين الحرب ضد ألمانيا تحت شعار "اقتل الألمان"، وبدلاً من تعزيز الأممية العمالية، لجأ إلى إحياء ثقافة وتاريخ الملكيات الروسية الماضية—مثل إيفان، وكاترين، وغيرهم. وبنفس الطريقة، فإن آلة الدعاية في هوليوود كثيراً ما تُصوّر العمال الألمان أو اليابانيين على الشاشة كأعداء لا إنسانية فيهم.

إن المعيار الصحيح لتقييم العدالة في الحروب الإمبريالية التي تهدف إلى إعادة تقسيم الأسواق العالمية هو موقف الوحدة بين عمال الدول المتحاربة، ومعارضة جميع البرجوازيات المشاركة في هذه الحروب. وبالنظر إلى الخسائر البشرية والحضارية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، بسبب الموقف الأممي الصحيح لقادة اشتراكيين مثل يوجين دبس وجيمس بي. كانون فقد جرى محاكمتهم من قبل الحكومة الأميركية خلال كلتا الحربين وسُجنوا في واشنطن.

وفي الختام، فإن قضية التحريض المعادي لليهود والمعادي للصهيونية، إلى جانب تخصيب اليورانيوم بغرض تصنيع الأسلحة النووية من قبل نظام الشيعة-البازار، تقف في قلب السياسات الداخلية والإقليمية لإيران. وفي هذا السياق، فإن الدعاية الموجّهة ضد إسرائيل تحت مسميات متعددة—وهي الدعاية التي تروّج لها الرأسمالية القومية العالمية ونظام الشيعة-البازار—تمهّد الطريق نحو حربٍ عالمية ثالثة.

العودة إلى الصفحة الأولى

إلى أي حقبة تاريخية تنتمي المهام التاريخية للرأسمالية ، وما هي هذة المهام؟ لماذا لم تقم حكومة الجمهورية الاسلامية بالمهام التقليدية للرأسمالية إذا كانت كما هي، نظاماً رأسمالياً ؟ أو لماذا لا تنفذها ؟ هل دعوة دورية كارگر إلى إنجاز هذه المهام التاريخية تنحرف عن الهدف الأساسي للطبقة العاملة وهو تشكيل حكومتها الخاصة ؟ يجيب پويا رهگذر.

أن المهام الديمقراطية التاريخية، المعروفه أيضاً باسم المهام التاريخيه للرأسمالية، هي مجموعة من المسؤليات التي أثيرت خلال ذروة الثورة الرأسمالية ضد الأقطاع. بمساعدة جماهير الفلاحين والعمال الحضرين خلال ثورات القرن الثامن عشر في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية. أنجزت الطبقة الرأسمالية هذه المهام في الفترة التي كان فيها النظام الرأسمالي في صعود. وبسبب دورها الوسيط لشركات الإمبريالية الأجنبية وقاعدتها الداخلية ــ وهي الملكية ــ تورطت الطبقة البرجوازية الناشئة في البلدان المستعمرة أو شبه المستعمرة مع عناصر رجعية تاريخيًا مثل الملكية، عند ظهور النظام الرأسمالي في هذه البلدان في بدايات القرن العشرين. ونتيجة لذلك، أثبتت البرجوازية المحلية عجزها عن تنفيذ المهام التاريخية للرأسمالية والقضاء على الملكية. وبمساعدة الفلاحين، تولت الطبقة العاملة تنفيذ المهام التاريخية للرأسمالية.

فيما يلي هذه المهام:

١.إنهاء الملكية الاستبدادية أو الملكية الآسيوية؛

٢.إصلاح نظام الأراضي بحيث يتمكن الفقراء وعديمو الأرض من الحصول على أراضٍ خاصة بهم؛

٣.منح النساء الحقوق نفسها التي يتمتع بها الرجال، وإتاحة الوصول إلى جميع مزايا المجتمع؛

٤.إرساء الحريات المدنية والسياسية، والديمقراطية، وحرية الصحافة، وحرية التجمع، وفصل الدولة عن المسجد؛

٥.حرية الدين؛ والاعتراف بالشرعية المتساوية لحقوق الأقليات الدينية؛

٦.الاعتراف بالثقافات القومية للأقليات الوطنية أو الجماعات العرقية و احترامها، وحق التعليم والتعلم بلغاتهم الأم مثل لغات إيران التي قمعت بشدة خلال حكم رضا خان وبعده؛

٧.حقوق العمال المهاجرين؛

٨.إرساء حقوق العمال في التنظيم في مجالس مستقلة وجمعيات واتحادات ومنظمات للدفاع عن مستوى معيشتهم وكذلك حقوق السكان المدنيين والريفيين، وحق تقرير المصير القومي وتحقيق المهام التاريخية للرأسمالية؛

٩.حق الاستقلال والحرية، أو حق تقرير المصير للأمة أو الأمم.

وقد ترسخت هذه الحقوق في أوروبا الغربية خلال القرن الثامن عشر نتيجة عدة انتفاضات برجوازية ضد الإقطاع. وكان أفضل تمثيل لهذه الحقوق هو "وثيقة الحقوق"، وهي مجموعة الحقوق التي أُعلنت في أمريكا الشمالية خلال النضال من أجل الاستقلال وإقامة الديمقراطية البرجوازية في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أعقبت نهاية الاستعمار البريطاني.

إلا أن ديمقراطيات البرجوازية في الدول الغنية واصلت، رغم ذلك، اتباع سياسات استعمارية في الخارج حتى وهي تناضل من أجل الديمقراطية البرجوازية داخل حدودها. وباعتبار المجتمعات الأخرى مجتمعات مستعمَرة، قامت البرجوازيات الأوروبية بتقسيم بقية العالم الذي كان ما يزال في مرحلة ما قبل الرأسمالية اقتصاديًا واجتماعيًا. وهكذا، أصبح مسار الديمقراطية البرجوازية، الذي استمر في الغالب حتى اليوم، سمة من سمات المجتمع في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وبالأخص ديمقراطيات الدول شديدة الثراء. وكانت تنمية الفاشية في إيطاليا وألمانيا وإسبانيا، والتي رفضت الديمقراطية البرجوازية واستبدلتها بالديكتاتورية الفاشية استثناء.

وهكذا، فإن المعركة الديمقراطية العالمية التي بدأت في القرن الثامن عشر وقعت في بداية القرن العشرين، أي بعد قرنين من الزمن. وقد طرحت الاضطرابات في الشرق ومناطق أخرى من العالم مزاعم مماثلة لتلك التي رفعتها الثورات البرجوازية في القرن الثامن عشر. ومن الأمثلة على ذلك الثورة الدستورية الإيرانية، وكفاح صن يات-سن من أجل توحيد الصين، وحركات مماثلة في بلدان أخرى من الجنوب العالمي.

إن ذكرنا لهذه الأهداف يهدف إلى تسليط الضوء على حقيقة أنه، رغم أن النظام الرأسمالي قد هزم الإقطاع بدعمها، إلا أنه قد ابتعد الآن عن تحقيقها. وتُعد قضية الحقوق المدنية للأمريكيين السود، التي هي إحدى الالتزامات التاريخية للرأسمالية أو الديمقراطية، والتي لم تصبح واقعًا في الولايات المتحدة إلا في منتصف ستينيات القرن العشرين، مثالًا بارزًا على هذه الحقيقة.

ويعود ذلك إلى انحطاط النظام الرأسمالي في القرن العشرين، الذي لم يفشل فقط في تحقيق هذه الأهداف في البلدان شبه المستعمَرة، بل إن الفاشية في ألمانيا وأماكن أخرى في ثلاثينيات القرن العشرين أنكرت حتى ديمقراطيات الدول الرأسمالية الغنية.

وتوفر البلدان شبه المستعمَرة التي نهضت في القرن العشرين مثالًا صارخًا على هذه الظاهرة. فالبرجوازية الناشئة في هذه البلدان تتجنب المهام الديمقراطية التاريخية للرأسمالية بسبب ارتباطها بالهياكل ما قبل الرأسمالية مثل الملكية وخضوعها للإمبريالية. وقد تولت القوى المستقلة الآن مسؤولية هذه المهام التاريخية، التي تعتمد على تعاون الطبقة العاملة والفلاحين. ومن المهم أن نتذكر أن ماركس أكد أن الطبقة العاملة، التي تتحد مع الشرائح المضطهدة الأخرى في المجتمعين الحضري والريفي، هي المكوّن الرئيسي لتحقيق الديمقراطية، وهي التي تمنح البرجوازية الشجاعة لتنفيذ الالتزامات التاريخية المذكورة اعلاه حتى في بداية الرأسمالية، قبل ظهور الاشتراكية. وكان كل من ماركس ولينين وغيرهما يعتبرون أنفسهم ديمقراطيين ثوريين. لكن غالبية من يُطلق عليهم "اليساريون" لم يفهموا هذه الفكرة الأساسية قط أو أساؤوا تفسيرها.

إن الاستقلال السياسي للطبقة العاملة عن الشيعة-بازار، وإقامة حكومة عمالية وفلاحية، أمران ضروريان لتحقيق هذه المهام التاريخية.

العودة إلى الصفحة الأولى

كذبة الجمهورية الإسلامية، والإمبريالية، وأساتذة الشيعة-البازار حول خدمات استبداد بهلوي

هل كثيراً ما تصادِف مقالات وخُطب لخبراء في أوروبا والولايات المتحدة تمجّد خدمات موسوليني وهتلر وفرانكو لبلدان إيطاليا وألمانيا وإسبانيا؟ هل يوجد ما يضاهي القصف الدعائي عن خدمات رضا ومحمد رضا بهلوي لإيران الذي تبثّه جميع الشبكات الإمبريالية الناطقة بالفارسية في الخارج، ويُردده النخب والمثقفون وأساتذة الجامعات المرتبطون بالحكومة داخل إيران وخارجها منذ انتصار ثورة ١٩٧٩ وحتى اليوم؟

في الدعاية الرأسمالية حول مستقبل البلدان الأوروبية الثلاثة المذكورة، نادراً ما نجد إشارات إلى قادة الفاشية. ولا توجد أيضاً مراسلات مع أحفادهم من المثقفين أو أساتذة الجامعات تتضمن تقديم النصح أو الإرشاد أو التعبير عن الامتنان لخدمات أسلافهم الفاشيين.

في إيران، فإن الملكية البهلوية الوحشية — أي الأداة التاريخية للعداء تجاه الأمة،أى الشعب، المكافئ للأنظمة الفاشية الأوروبية، السيف المسلول ضد الشعب العامل في إيران الذي استخدمته الإمبريالية لما يقرب من نصف قرن عبر ملكية الأب و الابن التي ما زالت تُذكر من منظور خدماتها المزعومة في الماضي. وتُقدَّم بقاياها اليوم كحل، تحت ذرائع مختلفة، من قبل الإعلام الناطق بالفارسية التابع للرأسمالية المالية العالمية، ومن قبل الأوساط الأكاديمية داخل البلاد وخارجها المتحالفة معها. لماذا؟

فهم الفاشية. وفقاً لتقييمات العلماء الثوريين في القرن العشرين، فإن الفاشية ظاهرة داخل النظام الرأسمالي تقضي على الديمقراطية الشكلية في البلدان الرأسمالية المتقدمة وتسلّم السيف المسلول لرأس المال ضد الشعب

العامل. وبعبارة أخرى، "النظام الديمقراطي لا يستطيع تحمّل الجهد العالي للصراع الطبقي، فينفجر فتيل الديمقراطية."

فعلى سبيل المثال، في إيطاليا: تماماً كما واجهت روسيا ما بعد القياصرة مهمة تجاوز الرأسمالية وإقامة حكومة عمال وفلاحين من خلال ثورة أكتوبر ١٩١٧، واجه المجتمع الإيطالي مهمة مماثلة بعد الحرب العالمية الأولى — وكذلك الحال لاحقاً في ألمانيا وإسبانيا. غير أنّ الدور المضاد للثورة الستالينية مكّن أقليات فاشية صغيرة للغاية وبائسة في هذه البلدان من هزيمة عشرات الملايين من العمال، وأغرقت البشرية في الحرب العالمية الثانية، حيثُ استطاعت الستالينية شلّ نضالات الطبقة العاملة وتمهيد الطريق لانتصار الفاشية.

خلال الحرب العالمية الثانية، احتلّ هتلر البلدان الأوروبية المنافسة مثل فرنسا، وطرح نفسه كمرشحاً لقيادة الاستعمار العالمي، ومصمماً على اقتلاع بقايا ثورة أكتوبر في الاتحاد السوفيتي. وأصبح اليهود، الذين شكّلوا جزءاً مهماً من الحركة العمالية الثورية في أوروبا، هدفاً للإبادة الفاشية المعادية للسامية، فسعت الفاشية لتطهير أوروبا من وجودهم. وقد لقى ستة ملايين يهودي حتفهم في محارق الجثث.

قبل الحرب العالمية الثانية، كان العلماء الثوريون قد تنبؤوا بالفعل بأنه، رغم القوة العسكرية الهائلة لألمانيا، فإن إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء لتدمير الاتحاد السوفيتي — حتى مع وجود النظام الستاليني المضاد للثورة في موسكو — لن تكون ممكنة.

كانت ألمانيا، التي قادت دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية، تطالب بالنصيب الأكبر من المستعمرات العالمية، التي كانت في الغالب مملوكة لبريطانيا، وإلى حد ما في يد فرنسا وغيرها من القوى الأوروبية. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جاء نمو الرأسمالية في ألمانيا تالياً لنموها في بريطانيا، لكن ألمانيا كانت تفتقر إلى أي مستعمرات. كانت الحرب العالمية الأولى محاولة من ألمانيا وحلفائها لمراجعة نتائج التنمية الرأسمالية في القرون السابقة. وجاءت الحرب العالمية الثانية في المسار نفسه — محاولة لإعادة تقسيم الموارد العالمية بين القوى الإمبريالية.

نمو الاقتصاد والتكنولوجيا في الرأسمالية في ظل الفاشية. إن انتصار الفاشية في إيطاليا وألمانيا وإسبانيا لم يكن يعني أن هذه البلدان الثلاثة تراجعت اقتصادياً إلى المعاول والمجارف والمحراث الذي تجره الثيران في المدينة والقرية. بل إن النمو الاقتصادي الرأسمالي، والتكنولوجيا، والصناعة لم يتراجع فحسب، بل ازداد فعلياً. فلماذا لا يسعى مثقفو وأساتذة النظام الرأسمالي في تلك البلدان إلى اغتنام الفرص للتعبير عن امتنانهم لزعماء الفاشية؟ في حين أن مثقفي الدولة في إيران — سواء في عهد الملكية الوحشية أو في ظل حكم الجمهورية الإسلامية — يبالغون في تضخيم النمو الصناعي المحدود ويمجّدون الملكين البهلويين الأول والثاني.

في حالة البلدان الأوروبية المذكورة أعلاه، يدرك المنظّرون الإمبرياليون جيداً أن أي مدح للجوانب الاقتصادية في هذه البلدان الثلاثة أو لزعمائها الفاشيين يمكن أن يؤدي إلى عواقب غير مقصودة. وبعبارة أخرى، مثل هذا المدح يمكن أن يضر بالسردية الرسمية والهوليوودية عن الفاشية وأسباب الحرب العالمية الثانية. إن التاريخ الأكاديمي الرسمي والهوليوودي في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية (وفي بقية العالم بما في ذلك إيران، حيث يردده أساتذة الجامعات الذين تدربوا على التضليل الغربي) يصوّر الحرب العالمية الثانية كمعركة بين الديمقراطية والفاشية — لا كحرب لإعادة تقسيم العالم بين القوى الإمبريالية.

وهم يدركون جيداً أن أي تحقيق في النظام الاقتصادي والسياسي للفاشية سيكشف الأكاذيب التاريخية التي تنشرها الرأسمالية المالية. وفي هذه الحالة، يمكن أن تجد المواقف الدولية للطبقة العاملة — أي وحدة العمال في جميع أنحاء العالم ضد الرأسمالية المالية — طريقها إلى عقول الناس. وهذه حقيقة يجب إبعادها عن وعي الجماهير بأي ثمن.

حكم الديمقراطية في أوروبا الغربية ورفضها من قبل الفاشية

تُعتبر الديمقراطية في الدول الغنية في العالم الصناعي المتقدم المعيار التاريخي لهذه المجتمعات. لكن رفض

الديمقراطية في هذه البلدان الغنية جداً من قبل الفاشية — بسبب الحاجة إلى الانفصال عن النظام الرأسمالي والفشل في تحقيق ذلك رغم نضج الظروف الموضوعية لنجاح الطبقة العاملة — يُقدَّم على أنه استثناء في القرن العشرين في أوروبا الغربية. وذلك لأن الديمقراطية، كقانون طبيعي داخل النظام الرأسمالي، تُقدَّم كقاعدة أولية، وأي استفسار عن الاستثناءات يزعزع الإيمان بـ "النظام الطبيعي" للرأسمالية.

والحقيقة أن الطبقة العاملة، بسبب فشلها في أداء مهمتها التاريخية (وهو فشل فُرض عليها من قبل الستالينية والديمقراطية الاجتماعية)، واجهت عقوبة هيمنة الفاشية والحرب العالمية التي تلتها. وهذا مصير يمكن أن يتكرر إذا فشلت الطبقة العاملة مرة أخرى — ويتجسّد في شكل إنكار الفاشية للديمقراطية. وبعبارة أخرى، كقانون عام في التاريخ، فإن بقاء الديمقراطية يقع في يد الطبقة العاملة — سواء في بلد صناعي متقدم أو في بلد شبه استعماري.

في الولايات المتحدة، تقدّمت الفاشية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية على شكل المكارثية، ما أدى إلى تطهير الاتحادات في الصناعة وتطهير هوليوود من أي تأثير للحزب الشيوعي الأمريكي. وقد انهارت مع انتصار الثورة الكوبية وحركة الحقوق المدنية للأمريكيين السود.

اليوم، وعلى الرغم من أن دعاية الحزب الديمقراطي تتهم إدارة ترامب بإحياء الفاشية، فإن الجمهور العام يدرك فراغ هذا الخطاب. إن التعدّي الخطير على الحقوق المدنية، إلى حدّ "الحرب القانونية" التي يشنها الحزب الديمقراطي في محاولة لمحاكمة ترامب بل وسجنه، قد رُفض من قِبل المجتمع ككل . ومعظم الأنظمة الأوروبية وحكومات "العالم الثالث" هي التي تُكرر هذه الدعاية الجوفاء للحزب الديمقراطي الأمريكي، بينما تشارك في الوقت نفسه في التعبئة العالمية للمشاعر المعادية لليهود والمعادية للصهيونية ضد إسرائيل — مثلما تفعل الجمهورية الإسلامية في إيران التي تتباهى بموقفها المعادي لليهود والمعادي للصهيونية.

في البلدان شبه الاستعمارية مثل إيران، ينسى منظّرو الجهاز الإمبريالي أن القضية العالمية في الحرب العالمية الثانية قد صيغت على أنها ديمقراطية في مواجهة الفاشية — وأن عشرات الملايين من الناس قُتلوا من أجل هذه الأهداف أثناء الحرب. لكن عندما يتعلق الأمر بإيران، يُستبدل نضال الديمقراطية ضد الفاشية أو الاستبداد الملكي بتمجيد نظامي رضا ومحمد رضا بهلوي. في كل من البلدان المتقدمة وشبه الاستعمارية، فإن تحليلات وتصريحات النظام الإمبريالي ليست سوى سلسلة من المغالطات.

قاعدة قمع الديمقراطية في البلدان شبه الاستعمارية.

في بلد شبه استعماري مثل إيران، القاعدة التاريخية هي إقامة أنظمة استبدادية مثل نظامي بهلوي الأول والثاني. إن عداء الإمبريالية لـ ملت،أي الأمة، مؤسَّس في البلدان شبه الاستعمارية. وتَعلّقت إمكانية ظهور الديمقراطية بانحدار وأزمة النظام الخاضع لسيطرة الإمبريالية.

ببساطة، القرن العشرون هو قرن الـ ملّت،أي الشعب — القوة التي لم تكن موجودة في آلاف السنين السابقة من التاريخ، والتي وُلدت من صدام المجتمع الآسيوي القديم مع النظام الرأسمالي العالمي. وهي القوة الاجتماعية الوحيدة، المعتمدة على الطبقة العاملة، القادرة على تحقيق الديمقراطية في إيران وإنهاء عهد الفقر والاستغلال والقمع.

لسوء الحظ، في القرن العشرين، تفوّقت الحكومات المعادية للوطن، المتمثلة في بهلوي الأول والثاني، وسدت الطريق أمام الإمكانات الهائلة لتقدّم إيران وقفزتها نحو إنتاجية العمل، ووحدة المدينة والريف، والتصنيع، والقضاء على الفقر والأمية.

وهكذا يبقى ازدهار الديمقراطية محدوداً: فترة الثورة الدستورية، أو الانتفاضات الاجتماعية بعد سقوط دكتاتورية رضا خان التي دامت عشرين عاماً (أيلول/سبتمبر ١٩٤١) حتى الانقلاب المدعوم من وكالة الاستخبارات المركزية في آب/أغسطس ١٩٥٣، ثم بعد الانتصار التاريخي بتحرير إيران من هيمنة الإمبريالية-البهلوية عام ١٩٧٩، دامت أقل من أربع سنوات. بعد ثورة ١٩٧٩، ومع حظر كارگر الاشتراكية الأسبوعية (أواخر ١٩٨١) واعتقال قادة الاشتراكيين في شتاء ١٩٨٣، أُعلن أن وصول الشعب

الكادح و العامل إلى أفكارهم المستقلة أمر محظور من قبل كل من الإمبريالية والجمهورية الإسلامية. أصبحت وسائل الإعلام العامة في الجمهورية الإسلامية أدوات للخطاب المعادي لأمريكا والمعادي لليهود/الصهيونية، وأُعطيَت حرية الصحافة فقط لفصائل النخبة الحاكمة لبثّ الهراء. هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية.

مع نجاح إسرائيل في حرب دفاعية لتدمير برنامج القنبلة النووية في إيران، تبدو أزمة النظام الذي يقوده الشيعة-البازار غير قابلة للشفاء . لقد تم كشف أكاذيبه، التي استُخدمت لمنع إنجاز المهام التاريخية للرأسمالية. يفقد الغراء الأيديولوجي للنخبة الحاكمة فاعليته.وبدأت تنهض حقوق النساء، وحق المجموعات العرقية في الحصول على حكومات وطنية، وحقوق العمال والفلاحين في التنظيم المستقل والسيطرة على الإنتاج في الصناعات — إلى جانب الحق في الحريات المدنية والسياسية، والحق في الاستقلال الوطني.

وللأسباب نفسها التي تجعل الأكاديميا تتجنب بحث صعود الفاشية في أوروبا الغربية خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين — لأن ذلك قد يتحدى الأسطورة الرسمية عن الديمقراطية العالمية في مواجهة الفاشية في الحرب العالمية الثانية — تفتح المؤسسات الأكاديمية ومراكز الأبحاث الخاضعة لقيادة الرأسمالية المالية أبوابها على مصراعيها للتحقيق والإشادة بصعود رضا خان. ولا يمكن تحت أي ظرف افتراض أو إثبات أو فحص قدرة الفعل المستقلة للـ ملّت،أي الأمة. إن الرأسمالية في البلدان شبه الاستعمارية، مقارنة بالأمم الرأسمالية المالية في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، متجذرة بعمق في الضعف. يمكن للتعبئة الشعبية المستقلة أن توقظ الناس بسرعة للسعي وراء مطالبهم والانتصار رغم كل الصعاب.

رضا خان هو نفي لظهور الظاهرة التاريخية للـ ملّت ،أي الأمة، داخل البلاد القاجارية من قِبل وكيل الرأسمالية المالية. يمكن للمديح له أن يجلب فوراً المكافآت من الرأسمالية. تسعى الرأسمالية المالية تلقائياً إلى منع الوعي بدور الأمة المستقل — أي دور الطبقات الشعبية الحضرية والريفية — في إنجاز المهام التاريخية للرأسمالية. جميع المثقفين المدربين في هذا التيار "الأكاديمي" والذين يدعمون الآراء الخاطئة بالتحيز ، يضبطون تلقائياً أدواتهم البحثية بما يتوافق مع الوقائع التي تتطلبها الرأسمالية المالية في البلدان شبه الاستعمارية.

لقد وجد العمال الشباب تقريباً الجواب على السؤال: لماذا يمدح المروّجون للدعاية الرأسمالية — سواء الموالون لواشنطن أو الأساتذة في ظل نظام الشيعة-البازار — سلالة بهلوي؟ لقد أدركوا أن القمع السياسي من قبل الرأسمالية في البلدان شبه الاستعمارية هو قاعدة تاريخية. وقد جرى تدريب كادر من أساتذة الجامعات على الترويج لهذه القاعدة في الجامعات المحلية والأجنبية، من أجل تطبيع غياب الديمقراطية أمام الرأي العام.

وهكذا، كل يوم وكل أسبوع، يتم تقديم هيمنة سيف بهلوي المسلول كحلوى من قبل وسائل الإعلام الناطقة بالفارسية في الخارج وبعض أساتذة الجامعات داخل إيران وخارجها، تحت عناوين شتى. فهذا يقول: "لقد بنى السكك الحديدية". وذاك يقول: "أنشأ مراكز تخصيب نووي". أو "اشترى بمليارات الدولارات من طائرات الفانتوم والدبابات". "بجواز سفر صادر عن بهلوي، كان يمكن السفر إلى العديد من البلدان". وكما يقول الرئيس الحالي: "كان الدولار يقارب سبعة تومانات" [حالياً يقارب ١٠٠,٠٠٠ تومان]. ويُخاطَب بقايا النظام الملكي البهلوي بألقاب ملكية في الدوائر الإمبريالية وبعض أساتذة الشيعة-البازار. فعلى سبيل المثال: "أنا بنفسي كتبت رسالة إلى الأمير لأطلب منه المزيد من الاهتمام بالديمقراطية". أو: "خلال رحلة إلى مصر، زرت شخصياً قبر الشاه الراحل نيابة عن والدي". من أين تأتي هذا الحنين للملكية؟ بلا شك من التشبث بحكم العلو الإمبريالي. أي أن كل ما يمكن فعله يجب أن يُنجَز لتدمير ذاكرة ثورة ١٩٧٩ — أي الدور المستقل للعمال والكادحين في التاريخ.

يجب أن يهدف كل هذا النوع من الأبحاث إلى إيصال فكرة أن الطبقات الشعبية الحضرية والريفية، أي الدور المستقل للـ ملّت، أي الأمة، عاجزة عن تحقيق الاستقلال والحرية.

قاعدة سب إسرائيل، وتخصيب اليورانيوم، وإنتاج الصواريخ، والحرب ضد الدولة اليهودية

إن الاعتماد على الرأسمالية المالية يعني إعادة السياسة الوطنية إلى المبادئ التي روجت لها الإمبريالية ونظاما بهلوي الأول والثاني. يعني ذلك، بعد نجاح إسرائيل

في تدمير أجزاء كبيرة من برنامج تخصيب اليورانيوم الإيراني، أن نتخذ أحلك السنوات في تاريخ الدولة في القرن العشرين في ظل البهلويين نموذجاً لحل أزمة اليوم. يعني ذلك تعبئة الجهد كله من الشيعة-البازار وواشنطن لمنع العمال والكادحين الإيرانيين من التوجه نحو الفعل المستقل وصياغة مستقبل يحتاجه شعب المنطقة بأسرها.

فيما يتعلق بإسرائيل، فإن الاقتراح الخاطئ هو أن نتبنى السياسة المُرّة و الحلوة لمحمد رضا بهلوي نموذجاً. نتصرف ظاهرياً كمعارضين للحرب مع إسرائيل بينما نرفع في الوقت نفسه راية الخطاب المعادي لليهود/الصهيونية تحت ستار الصداقة مع فلسطين. نقبل التخصيب النووي كسياسة أساسية للنظام ونتعهد بالاستمرار فيها. نكرر باستمرار الدور الإيجابي المزعوم للنظام الملكي البهلوي في تاريخ إيران: "والدك وجدك قدما خدمات كثيرة لإيران". نُؤطّر المعارضة للحكم الملكي كخلاف تكتيكي فقط — مثل القول "الملكيون ليسوا جادين بشأن الديمقراطية" — وكأن نظام بهلوي-السافاك، قتلة الـ ملّت، يمكن اختزاله في ديمقراطيين غير جادين.

يُقال إن خوف إسرائيل من القنبلة النووية الإيرانية لا أساس له لأننا "أعلنا مراراً وتكراراً" أن برنامجنا النووي سلمي." لا يمكن لأي بلد أن يقرر بشأن قدراتنا الصاروخية". "كانت تكلفة حرب الـ ١٢ يوماً أعلى على إسرائيل منها على غزة." الدفاع عن غزة وإعلان "وقف إطلاق النار" أمر ضروري، لأن "إسرائيل ترتكب إبادة جماعية في غزة."

هذا القلب للواقع — المصاغ كدعم للتخصيب النووي، وإنكار حرب الجمهورية الإسلامية و"محور المقاومة" ضد إسرائيل، وتمجيد الحرب الرجعية التي تشنها حماس والجمهورية الإسلامية — يُقدَّم تحت راية وقف إطلاق النار ومنع الإبادة الجماعية في غزة. وهذا ينطوي على إدانة الدفاع المشروع عن النفس من قبل إسرائيل.

تتخيل الدعاية الجوفاء باستمرار أن حرباً من واشنطن شبيهة بغزو العراق تلوح في الأفق، تماماً مثل احتلال العراق في عهد صدام. لكن حروب واشنطن في أفغانستان والعراق غير قابلة للتكرار. وحرب العراق الثماني سنوات ضد إيران غير قابلة للتكرار. ما هو في تراجع هو حروب الجمهورية الإسلامية من أجل الهيمنة الإقليمية وتدمير إسرائيل.

تتجنب دعاية الشيعة-البازار، تحت ذرائع وهمية، إدانة التخصيب النووي والنهج المعادي لليهود/الصهيونية للجمهورية الإسلامية، الذي يستند إلى المواقف المعادية لليهود لدى الرأسمالية المالية العالمية وسعيها لمنع التعبئة الوطنية المستقلة. كما يعلنون أيضًا: "إذا وقعت الحرب، فسأتطوع". (معظم هذه الاقتباسات من صادق زيباكلام، وكالة أنباء إيسنا، ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٢٥).

إن الجهد الكامل لكتلة الشيعة-البازار لإغلاق مستقبل إيران — الذي يكمن مساره الوحيد في وحدة النساء والعمال والفلاحين، وفي إقامة حكومات من قبل المجموعات العرقية/الأمم — سيكون عبثاً. ومهما صيغ بعبارات لطيفة ، فإن العودة إلى الملكية البهلوية الملعونة أمر مستحيل. بالموقف المستقل، تستطيع الأمة أن تحول الديمقراطية في إيران من استثناء إلى قاعدة تاريخية.

للتغلب على ثلث السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر، والبطالة والتضخم، والنقص المستمر في الكهرباء/الغاز والماء، والأزمة الاقتصادية الحادة، وللنجاح في مواجهة العقوبات الاقتصادية لواشنطن وتحقيق نمو اقتصادي مزدوج الرقم، يتطلب الأمر التنظيم المستقل للعمال وجميع القطاعات الكادحة.

إن فتح باب الحرية يتطلب الاستقلال السياسي عن الشيعة-البازار — أي إقامة حكومة عمال وفلاحين. تسعى الطبقة العاملة إلى جذب جميع الأساتذة والعلماء والفنانين والمثقفين إلى الأفق الوطني المستقل.

مجيد دهقان

تير ١٤٠٤ هـ.ش.

العودة إلى الصفحة الأولى

الثقافة والنظام الأشتراكي لئون تروتسكى (خطاب ٣ فبراير ١٩٢٦)

١- التكنولوجيا والثقافة :

ولنتذكر أولاً وقبل كل شيء أن الثقافة كانت ذات يوم حقل محروث ومزروع، متميزة عن الغابات البكر والتربة العذراء. كانت الثقافة تتناقض مع الطبيعة، أي أن ما تم تحقيقه من خلال الجهد البشري كان متناقضًا مع هدايا الطبيعة. هذا النقيض يحتفظ بشكل أساسي بقيمته حتى اليوم.

الثقافة هي كل ما تم إنشاؤه وبنائه وتعلمه وغزوه من قبل الإنسان على مدار تاريخه بأكمله، بخلاف ما أعطته الطبيعة، بما في ذلك التاريخ الطبيعي للإنسان نفسه كنوع حيواني. العلم الذي يدرس الإنسان كنتيجة لتطور الحيوان يسمى الأنثروبولوجيا (علم الأنسان). لكن منذ اللحظة التي فصل فيها الإنسان نفسه عن مملكة الحيوانات، وقد حدث هذا تقريبًا عندما أخذ بين يديه لأول مرة أدوات بدائية مثل الحجارة أو الخشب وسلَّح أعضاء جسمه بها، منذ ذلك الوقت بدأ خلق الثقافة وتراكمها، أي من جميع أنواع المعرفة والمهارة في النضال مع الطبيعة و اخضاعها.

عندما نتحدث عن الثقافة التي تراكمت على مر الأجيال الماضية، فإننا نعتمد أولاً وقبل كل شئ على الانجازات المادية في شكل أدوات وآلات ومباني وآثار وما إلى ذلك. هل هذه ثقافة ؟ مِمَّا لا شك فيه أنها ثقافة، الاشكال المادية في تلك الثقافة ترسبت: ثقافة مادية. إنها تخلق،على أسُس وفرتها الطبيعة،الإطار الأساسي لحياتنا، وطريقة حياتنا اليومية، وإبداعنا. لكن الجزء الأكثر قيمة من الثقافة يتكون من رواسبها في وعي الإنسان نفسه—وسائلنا و عاداتنا ومهاراتنا، وقدراتنا المكتسبة التي نشأت من كل الثقافة المادية السابقة، وبينما تستند إليها، تواصل تحسينها ايضاً.

سننظر حينها في الأمر بثبات أن الثقافة تنبع من صراع الإنسان مع الطبيعة من أجل البقاء، من أجل تحسين الظروف المعيشية، من أجل زيادة قوته. ولكن على هذا الأساس تنمو الطبقات أيضًا. في عملية التكيف مع الطبيعة، في الصراع مع القوى المعادية للطبيعة، يتطور المجتمع البشري إلى منظمة طبقية معقدة. إن الهيكل الطبقي للمجتمع هو الذي يحدد بشكل حاسم محتوى وشكل التاريخ البشري، أي علاقاته المادية وتأملاتها الأيديولوجية. بقول هذا، نقول أيضًا أن الثقافة التاريخية لها طابع طبقي.

المجتمع الذي يمتلك الرقيق، والمجتمع الإقطاعي الذي يمتلك الأقنان، والمجتمع البرجوازي - كل منها ولّد ثقافة مناظرة: ففي مراحل مختلفة توجد ثقافة مختلفة ذات أشكال إنتقالية متعددة. المجتمع التاريخي هو تنظيم لإستغلال الإنسان من قبل الإنسان. تخدم الثقافة التنظيم الطبقي للمجتمع. وأدى مجتمع الاستغلاليين الى ظهور ثقافة إستغلالية. لكن هل هذا يعني بعد ذلك أننا ضد كل ثقافة الماضي ؟

في الواقع، يوجد بالفعل تناقض عميق هنا. كل ما تم تحقيقه وإنشائه وبنائه بجهود الإنسان والذي يعمل على تعزيز قوى الإنسان هو الثقافه. ولكن بما أننا نتعامل مع رجل اجتماعي وليس فردي، نظرًا لأن الثقافة ظاهرة اجتماعية—تاريخية في جوهرها، نظرًا لأن المجتمع التاريخي كان ولا يزال مجتمعًا طبقيًا، فإن الثقافة تتكشف كأداة أساسية للقمع الطبقي. قال ماركس: "الأفكار المهيمنة للعصر هي أفكار الطبقة الحاكمة في ذلك العصر". ينطبق هذا البيان أيضًا على الثقافة ككل. ومع ذلك نقول للطبقة العاملة: يجب أن تتقنوا ثقافة الماضي، وإلا فلن تبنوا الاشتراكية. كيف يمكن فهم هذا ؟

بسبب هذا التناقض، الكثير من الناس تعثَروا، وهم يتعثرون كثيرًا لأنهم يقتربون من مفهوم المجتمع الطبقي ظاهريًا وبشكل شبه مثالي، متناسين أن هذا المجتمع الطبقي هو تنظيم الإنتاج بشكل أساسي. تشكل كل مجتمع طبقي وفقًا لوسائل محددة للنضال مع الطبيعة، وقد تغيرت هذه الأنماط اعتمادًا على تطوير التكنولوجيا. ما هو الأكثر جوهرية: التنظيم الطبقي للمجتمع أم قواه المنتجة؟ بلا شك، القوى المنتجة. على وجه التحديد بسبب هذه القوى، على مستوى معين من تطورها، تشكلت الطبقات وأعيد تشكيلها. في القوى المنتجة يتم التعبير عن المهارة الاقتصادية المجسدة للإنسان، وقدرته التاريخية على تأمين وجوده. تنمو الطبقات على هذا الأساس الديناميكي، وعلاقاتها المتبادلة تحدد طابع الثقافة.

وبالتالي، فيما يتعلق بالتكنولوجيا قبل كل شيء، يجب أن نسأل أنفسنا: هل هي مجرد أداة للقمع الطبقي ؟ ويكفي أن نطرح هذا السؤال لكي نتمكن من الإجابة فوراً: لا، التكنولوجيا هي الإنجاز الأساسي للبشرية؛ على الرغم من أنه كان بالفعل حتى الآن كأداة للاستغلال، وهو في الوقت نفسه الشرط الأساسي لتحرير المستغَّلين. الآلة تخنق العبد المأجورفي قبضتها. لكنه لا يمكن تحرير العبد المأجور إلا من خلال الآلة. وهنا يكمن أصل المسألة برُمَّتها.

إذا لم ننسى أن القوة الدافعة للعملية التاريخية هي نمو القوى المنتجة التي تحرر الإنسان من سيطرة الطبيعة، ثم سنفهم أن البروليتاريا يجب أن تُتقن التراكم الكامل للمعرفة والمهارة، التي طورتها البشرية على مدار تاريخها، من أجل الارتقاء بنفسها عن طريق إعادة بناء الحياة على مبادئ التَضامن.

"هـل تدفـع الثقافـة التكنولوجيـا إلـى الأمـام أم التكنولوجيـا تدفـع الثقافـة إلـى الأمـام ؟" - تسـأل إحـدى الملاحظـات التـي أمامـي. مـن الخطـأ طـرح السـؤال بهـذه الطريقـة . لا يمكـن مواجهـة التكنولوجيـا بالثقافـة، لأنهـا النبـع الرئيسـي للثقافـة. بـدون التكنولوجيـا لا توجـد ثقافـة. إن نمـو التكنولوجيـا يدفـع الثقافـة إلـى الأمـام. لكـن العلـم والثقافـة العامـة اللذيـن نشـأوا علـى أسـاس التكنولوجيـا يشـكلان مسـاعدة قويـة لمزيـد مـن نمـو التكنولوجيا.هنـا يوجـد تفاعـل جدلـي.

أيهـا الرفـاق، إذا كنتـم بحاجـة إلـى مثـال بسـيط ولكنـه مُعَبِّـر عـن التناقـض الكامـن فـي التكنولوجيـا نفسـها، فلـن تجـدوا مثـالًا أفضـل مـن السـكك الحديديـة. إذا فحصتـم قطـارات الـركاب الأوروبيـة، فسـترون هنـاك عربـات مـن "فئـات مختلفـة." هـذه الطبقـات تذكرنـا بالطبقـات فـي المجتمـع الرأسـمالي. الدرجـة الأولـى للنخبـة المميـزة، والثانيـة للبرجوازيـة الوسـطى، والثالثـة للبرجوازيـة الصغيـرة والرابعـة - للبروليتاريـا، والتـي كانـت تُسـمى سـابقًا السـلطة الرابعـة لسـبب وجيـه.

إن السـكك الحديديـة فـي حـد ذاتهـا تشـكل فتـح ثقافي-تكنولوجـي هائـل مـن قبـل البشـرية ممـا غيَّـر وجـه الأرض بشـكل كبيـر فـي غضـون قـرن واحـد. لكـن الهيـكل الطبقـي للمجتمـع يؤثـر حتـى علـى بنيـة وسـائل الاتصـالات. ولا تـزال السـكك الحديديـة السـوفيتية لدينـا بعيـدة جـداً عـن المسـاواة.هذا ليـس فقـط لأنهـم يسـتخدمون العربـات الموروثـة مـن الماضـي، ولكـن أيضًـا لأن السياسـة الإقتصاديـة الجديـدةNEP)) تمهـد طريـق المسـاواة فقـط، و لا تُنجـزه.

قبـل ظهورعصـر السـكك الحديديـة، كانـت الحضـارة محصـورة علـى طـول شـواطئ البحـار وضفـاف الأنهـار الكبـرى. فتحـت السـكك الحديديـة قـارات بأكملهـا إمـام الثقافـة الرأسـمالية. أحـد الأسـباب الأساسـية، إن لـم تكـن الأساسـية لتخلـف وإهمـال الريـف الروسـي هـو نقـص السـكك الحديديـة والطـرق السـريعة وطـرق ثانويـة. فـي هـذا الصـدد، تظـل غالبيـة قُرانـا فـي ظـروف مـا قبـل الرأسـمالية. يجـب أن نتغلـب علـى حليفنـا العظيـم الـذي هـو فـي نفـس الوقـت عدونـا الأكبر—المسـافة. الاقتصـاد الاشـتراكي هـو الاقتصـاد المخطـط. والتخطيـط يفتـرض أولاً وقبـل كل شـئ التواصـل،و الاكثـر أهميـة فـي وسـائل الاتصـال هـي الطـرق و السـكك الحديديـة . كل خـط سـكة حديـد جديـد هـو طريـق إلـى الثقافـة، وفـي ظروفنـا هـو أيضـاً طريـق إلـى الاشـتراكية. علاوة علـى ذلـك، مـع تحسـن تكنولوجيـا وسـائل النقـل وازدهـار البـلاد، سـتتغير الصـورة الاجتماعيـة للسـكك الحديديـة أيضًـا: سـيختفي الفصـل بيـن "الطبقـات"، وسيسـافر الجميـع فـي عربـات "مريحـة"... أي، عندمـا يأتـي ذلـك الوقـت سـيكون النـاس لايزالـون يسـافرون بالسـكك الحديديـة بـدلاً مـن تفضيـل السـفر علـى متـن طائـرات التـي سـتكون متاحـة للجميـع.

لنأخـذ مثـالاً آخـر—أدوات النزعـة العسـكرية، ووسـائل التدميـر. فـي هـذا المجـال، تتجلـى الطبيعـة الطبقيـة للمجتمـع بأشـكال واضحـة ومثيـرة للاشـمئزاز بشـكل خـاص. ولكـن لا توجـد مـادة مدمـرة (متفجـرة أو سـامة)، لـن يكـون اكتشـافها إنجـازًا علميًـا أو تكنولوجيًـا قيمًـا فـي حـد ذاتـه. يمكـن أيضًـا اسـتخدام المتفجـرات أو المـواد السـامة لأغـراض إبداعيـة، وليـس فقـط لأغـراض تدميريـة، وهـي تفتـح إمكانيـات جديـدة فـي مجـال الاكتشـافات والاختراعـات.

لا يمكـن للبروليتاريـا الاسـتيلاء علـى سـلطة الدولـة إلا مـن خـلال تفكيـك الآليـة القديمـة للدولـة الطبقيـة. لقـد أدينـا هـذا العمـل بشـكل حاسـم كمـا لـم يفعـل أحـد مـن قبـل. ومـع ذلـك، عنـد بنـاء الآليـة الجديـدة للدولـة، اكتشـفنا أننـا اضطررنـا إلـى اسـتخدام عناصـر مـن الآليـة القديمـة إلـى درجـة معينـة ومهمـة إلـى حـد مـا. أيضـاً يرتبـط إعـادة البنـاء الاشـتراكي لجهـاز الدولـة ارتباطًـا وثيقًـا بالعمـل السياسـي والاقتصـادي والثقافـي بشـكل عـام.

ليـس علينـا تحطيـم التكنولوجيـا. تسـتحوذ البروليتاريـا علـى المصانـع المجهـزة مـن قبـل البرجوازيـة، فـي ظـروف اوجدتهـا تلـك الثـورة. المعـدات القديمـة لاتـزال تخدمنـا حتـى يومنـا هـذا. هـذا الظـرف يكشـف بوضـوح وبشـكل مباشـر حقيقـة أننـا لا نتخلـى عـن هـذا "التـراث". كيـف يمكـن أن يكـون غيـر ذلـك ؟ بعـد كل شـيء، تـم تنفيـذ الثـورة علـى وجـه التحديـد مـن أجـل الاسـتيلاء علـى هـذا التـراث.

ومع ذلك، في الشكل الذي أخذنا به، فإن التكنولوجيا القديمة غير مناسبة تمامًا للاشتراكية. إنه يُمَثِل الفوضى المتبلورة للاقتصاد الرأسمالي. التنافس بين مختلف المؤسسات، والسعي لتحقيق الأرباح، والتطور غير المتكافئ لفروع الأقتصاد المنفصلة، وتخلف مناطق محددة، والطابع المجزئ الصغير للزراعة، وتبديد القوة البشرية—كل هذا وجد تعبيره في التكنولوجيا بالحديد والنحاس. ولكن في حين يمكن تحطيم جهاز القمع الطبقي بضربة ثورية، لا يمكن إعادة بناء الآلية الأنتاجية التي كانت موجودة في ظل الفوضى الرأسمالية إلا تدريجياً.

إن إكمال فترة الترميم—على أساس المعدات القديمة—لا يقودنا إلا إلى عتبة هذه المهمة العظيمة. يجب أن ننجزها بأي ثمن.

٢- تراث الثقافة الروحية

الثقافة الروحية متناقضة تمامًا مثل الثقافة المادية. وكما هو الحال من ترسانات ومستودعات الثقافة المادية، قِمنا بتداول ليس القوس والسهم، ولا الأدوات الحجرية أو أدوات العصر البرونزي، ولكننا نأخذ أفضل الأدوات الممكنة لأحدث التقنيات، يجب أن نتعامل مع الثقافة الروحية بنفس الطريقة.

والعنصر الرئيسي في ثقافة المجتمع القديم هو الدين. وهو أهم شكل من أشكال المعرفة الإنسانية والوحدة الإنسانية؛ ولكن في هذا الشكل تم التعبير أكثر من أي شيء آخر عن ضعف الإنسان أمام الطبيعة وعجزه داخل المجتمع. نحن نرفض الدين وجميع بدلائه.

الوضع مع الفلسفة مختلف. من الفلسفة التي ابتكرها المجتمع الطبقي، يجب علينا استيعاب عنصرين لا يقدران بثمن: المادية والجدلية. كان في الواقع من توليفة عضوية من المادية والجدلية قد ولدت طريقة ماركس ونشأ نظامه. تكمن هذه الطريقة في أسس اللينينية.

وإذا انتقلنا إلى العلم بالمعنى الحقيقي للكلمة، يصبح من الواضح تماماً هنا أننا نواجه مخزوناً هائلاً من المعرفة والمهارة تراكمت لدى البشرية طوال حياتها الطويلة. صحيح انه، يمكن للمَرء أن يشير إلى أنه في العلم، الذي يتمثل هدفه في إدراك الواقع، هناك العديد من التلاعب الطبقي المغرض. صحيح تماماً! حتى لو أظهرت السكك الحديدية علامات على الوضع المتميز للبعض وفقر البعض الآخر، فإن الأمر نفسه ينطبق أكثر على العلم، الذي تكون مادته أكثر مرونة بكثير من المعدن والخشب المستخدم في بناء عربات السكك الحديدية.

لكن يجب أن نضع في اعتبارنا حقيقة أن الإبداع العلمي يتغذى بشكل أساسي من الحاجة إلى معرفة الطبيعة. على الرغم من أن المصالح الطبقية قد أدخلت ولا تزال تقدم ميول زائفة حتى في العلوم الطبيعية، إلا أن هذا التزوير محدود بالحدود التي يبدأ بعدها في عرقلة التقدم التكنولوجي بشكل مباشر. إذا قمت بفحص العلوم الطبيعية من الألف إلى الياء، من مجال تراكم الحقائق الأولية إلى أعلى وأكثر التعميمات تعقيدًا، فسترى أنه كلما زادالبحث العلمي تجريبيًا، كلما كان أقرب إلى مادته وإلى الحقائق، كانت النتائج التي يقدمها أكثرقطعية. كلما اتَّسع مجال التعميمات، كلما اقتربت العلوم الطبيعية من أسئلة الفلسفة؛ كلما زاد تأثره بتأثير الاقتراحات الطبقية.

الأمور أكثر تعقيدًا وأسوأ عندما يتعلق الأمر بالعلوم الاجتماعية وما يسمى بـ "العلوم الإنسانية". في هذا المجال ايضاً، بالطبع، السعي في معرفة ماهو موجود بشكل أساسي. وبفضل هذا، كان لدينا، بالمناسبة، المدرسة الرائعة للاقتصاديين البرجوازيين الكلاسيكيين. لكن الاهتمام الطبقي، الذي يوجد في العلوم الاجتماعية بشكل مباشر وحتمي أكثر بكثير منه في العلوم الطبيعية، سرعان ما أوقف تطور الفكر الاقتصادي في المجتمع البرجوازي.

لكن في هذاالمجال، نحن الشيوعيون مسلحون بشكل أفضل من أي مجال آخر. المنظرون الاشتراكيون تم إيقاظهم من قبل الصراع الطبقي للبروليتاريا، معتمدين على العلم البرجوازي وينتقدونه في الوقت نفسه، واخيراً ابتكروا ، في أعمال ماركس وإنجلز، الطريقة القوية للمادية التاريخية وتطبيقها غير المسبوق لهذا المنهج في كتاب "رأس المال". هذا لا يعني بالطبع أننا آمنون ضد تأثير الأفكار البرجوازية في مجالي الاقتصاد وعلم الاجتماع ككل. لا، معظم الاشتراكيون الأكاديميون المبتذلون والميول النارودنيكية للبرجوازية الصغيرة تنفجر كشيء ملموس في كل خطوة بيننا، من خلال "صناديق الكنوز" القديمة للمعرفة، التيتجد عناصر غذائية لانفسها في العلاقات غير المتبلورة والمتناقضة في الفترة الانتقالية. ولكن حتى في هذا المجال لدينا معايير الماركسية التي لا بديل لها والتي تم التحقق منها وإثرائها في أعمال لينين. وكلما قللنا من حصرنا في تجربة اليوم، و كلما احتضنّا على نطاق أوسع التنمية الاقتصادية في جميع أنحاء العالم ككل، وفصلنا اتجاهاتها الأساسية عن التغييرات الملتحمة، كان رفضنا المنتصر على الاقتصاديين وعلماء الاجتماع المبتذلين أكثر حسماً.

في مسائل القانون والأخلاق والأيديولوجية بشكل عام، يكون وضع العلم البرجوازي اكثر تعاسة منه في مجال الاقتصاد. جوهرة المعرفة الاصلية و الموثوقة يمكن أن تكون موجودة في هذه المجالات فقط بعد البحث داخل العشرات من تلال الروث الاحترافية.

تشكل الجدلية والمادية العناصر الأساسية للإدراك الماركسي للعالم. لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه يمكن تطبيقها في أي مجال من مجالات المعرفة مثل المفتاح الرئيسي الجاهز دائمًا. لا يمكن فرض الجدلية على الحقائق، يجب أن تُستمد من الحقائق، من طبيعتها وتطورها. فقط العمل المضني على المواد اللامحدودة أعطى ماركس القدرة على إقامة النظام الجدلي للاقتصاد على مفهوم القيمة كعمل اجتماعي. تم بناء أعمال ماركس التاريخية، وحتى مقالاته الصحفية، بنفس الطريقة. يمكن للمرء أن يطبق المادية الجدلية على مجالات المعرفة الجديدة فقط مع إتقانها من الداخل. لا يمكن تطهير العلوم البرجوازية إلا من خلال إتقان العلوم البرجوازية. لن تحقق شيئًا هنا من خلال النقد الشامل أو الأمر العاري. يسير الإستيعاب والتطبيق جنبًا إلى جنب هنا مع إعادة الصياغة النقدية. لدينا الطريقة، لكن هناك ما يكفي من العمل لأجيال قادمة.

يجب ألا يكون النقد الماركسي للعلم يقظًا فحسب، بل يجب أن يكون حذرًا، وإلا فقد يتدهور إلى مجرد تملق خارجي أو فاموسوفية. دعونا نأخذ علم النفس كمثال. يتبع علم المنعكسات لبافلوف تمامًا نهج المادية الجدلية. إنه يكسر بشكل قاطع الحاجز بين علم وظائف الأعضاء وعلم النفس. رد الفعل الابسط هو فسيولوجي، ونظام ردود الفعل يعطينا "وعيًا". إن تراكم الكمية الفسيولوجية ينتج عنه نوعية"نفسية"جديدة. طريقة مدرسة بافلوف تجريبية ومضنية. يتم كسب التعميمات خطوة بخطوة: من لعاب الكلب إلى الشِّعر، أي إلى آلياته الذهنية ،ولكن ليس محتواه الاجتماعي- على الرغم، من أن المسارات التي تأخذنا إلى الشعر لم يتم معرفتها بعد.

تتخذ مدرسة المحلل النفسي الفييِنّي فرويد نهجًا مختلفًا. يُفترض مسبقًا أن القوة الدافعة وراء العمليات النفسية الأكثر تعقيدًا وصقلًا هي الحاجة الفسيولوجية. وبهذا المعنى العام، فهي مادية، إذا تركنا جانبا مسألة ما إذا كانت تركِّز أكثر من اللازم على العامل الجنسي على حساب العوامل الآخرى، لأن هذا بالفعل نزاع داخل حدود المادية. لكن المحلل النفسي لا يتعامل مع مشكلة الوعي تجريبيًا، من الظواهر المنخفضة إلى الأعلى، أو من المنعكس البسيط إلى المعقد ؛بدلاً من ذلك يحاول اتخاذ كل هذه الخطوات الوسيطة دفعة واحدة، من أعلى إلى أسفل، من الأسطورة الدينية، أو القصيدة الغنائية أو الحلم—مباشرة إلى الأساس الفسيولوجي للنفس.

يخبرنا المثاليون أن النفس كيان مستقل، وأن "الروح" بئر لا قعر له. يعتبر كل من بافلوف وفرويد أن علم وظائف الأعضاء هو قاع "الروح". لكن بافلوف، مثل الغواص، ينزل إلى القاع ويحقق بشق الأنفس في البئر من الأسفل إلى

الأعلى. من ناحية أخرى، يقف فرويد فوق البئر، وبنظرة ثاقبة يحاول التقاط أو تخمين الخطوط العريضة للقاع من خلال أعماق المياه العكرة والمتغيرة باستمرار. طريقة بافلوف هي التجربة. طريقة فرويد هي الحدس، وأحيانًا حدس خيالي. إن محاولة إعلان التحليل النفسي "غير متوافقة" مع الماركسية والابتعاد ببساطة عن الفرويدية هي محاولة بسيطة للغاية، أو بدقة أكثر هي مفرطة في التبسيط. لكننا لا نضطر بأي حال من الأحوال إلى تبنِّي الفرويدية أيضًا. إنها فرضية جارى العمل عليها يمكن أن تعطي ولا شك أنها تعطي استنتاجات وحدس تتماشى مع علم النفس المادي. بمرور الوقت، المسار التجريبي يؤدي إلى التحقق من هذا الحدس. لكن ليس لدينا الأسس ولا الحق في فرض حظر على المسار الآخر، الذي، حتى لو كان أقل موثوقية، لا يزال يحاول توقع الاستنتاجات التي يتقدم فيها المسار التجريبي، ببطء أكبر بكثير.

مع هذه الأمثلة، أردت، ولو جزئيًا، إظهار تنوع تراثنا العلمي وتعقيد المسارات التي يمكن للبروليتاريا من خلالها البدء في إتقانه. إذا لم يتم البت في مسائل البناء الاقتصادي بمرسوم وعلينا "تعلم التجارة"، فلن !يؤدي الأمر المجرد في مجال العلم إلا إلى الأذى والإحراج. هنا علينا "تعلم كيفية التعلم".

الفن هو أحد الأشكال التي يجد الإنسان من خلالها توجهاً في العالم ؛ وبهذا المعنى، فإن تراث الفن لا يختلف عن تراث العلم والتكنولوجيا—وهو ليس أقل تناقضاً. ومع ذلك، على عكس العلم، فإن الفن هو شكل من أشكال إدراك العالم ليس كنظام للقوانين، ولكن كتجميع للصور، وفي الوقت نفسه، كوسيلة لإلهام بعض المشاعر والمزاجات. لقد جعل فن القرون الماضية الإنسان أكثر تعقيدًا ومرونة، ورفع نفسيته إلى مستوى أعلى وأثرى عقله من نواح كثيرة. هذا الإثراء هو غزو لا يقدر بثمن للثقافة. لذلك فإن إتقان الفن القديم هو شرط أساسي لا لإنشاء فن جديد فحسب، بل لبناء مجتمع جديد، لأنه بالنسبة للشيوعية، هناك حاجة إلى أشخاص يتمتعون بعقول متطورة للغاية.

لكن هل الفن القديم قادر على إثرائنا بالإدراك الفني للعالم ؟ نعم، إنه كذلك. ولهذا السبب على وجه التحديد، فهو قادر على تغذية مشاعرنا وتنميتها. إذا تخلينا بدون سبب عن الفن القديم، فسنصبح على الفور أفقر في الروح.

هنا وهناك من الملاحظ في هذه الايام الميل إلى تعزيز فكرة أن الفن هدفه هو فقط إلهام مزاج معين، ولكن ليس بأي حال من الأحوال إدراك الواقع. ومن هنا جاءت النتيجة: ما نوع المشاعر التي يمكن أن تصيبنا بفن النبلاء أو البرجوازية ؟

هذا خطأ جذري. إن أهمية الفن كوسيلة للإدراك—بما فيها الجماهير، هي لهم على وجه الخصوص—لا تقل عن أهميته "العاطفية". ليس فقط القصيدة البطولية، ولكن الحكاية والأغنية والمثل والاغنية الشعبية تعطينا الإدراك على شكل صور؛ إنها تلقي الضوء على الماضي، وتعمم تجربتنا، وتوسع آفاقنا، وفقط عند الارتباط بها و بفضل هذا الارتباط يمكن فهمها.

هذا ينطبق على جميع الأدب بشكل عام، ليس فقط على الملحمه الشعرية ولكن على القصيدة الغنائية أيضًا. ينطبق على الرسم والنحت أيضًا. الاستثناء الوحيد، بمعنى معين، هو الموسيقى، وتأثيرها قوي ولكنه أحادي الجانب. بالطبع، حتى الموسيقى تستند إلى إدراك خاص للطبيعة وصوتها وإيقاعاتها. ولكن هنا يتم إخفاء الإدراك بعمق، وانكسرت نتائج إلهام الطبيعة بشكل كبير من خلال أعصاب الإنسان، بحيث تعمل الموسيقى "كوحي" مكتفي ذاتيًا.

كثيرا ما تبذل محاولات لتقريب جميع أشكال الفن من الموسيقى كفن"العدوى"، ودائما ما تشير إلى تقليص دور الذكاء في الفن لصالح الاحساس غير المتبلور؛ بهذا المعنى كانوا ولا يزالون رجعيين... الأسوأ من ذلك كله، بالطبع، هي مثل هذه الأعمال الفنية التي لا تعطينا إدراكًا تصويرياً ولا "العدوى" الفنية، ولكنها تقدم أكثر الادعاءات افراطاً. في

بلدنا ننشر ليس عددًا قليلاً من هذه الأعمال، وللأسف لا تظهر في دفاتر الطلاب في استوديوهات العمل، ولكن في عدة آلاف من النسخ.

الثقافة ظاهرة اجتماعية. لهذا السبب بالذات، تعد اللغة، كأداة للتواصل بين الناس، أهم أداة لها. ثقافة اللغة نفسها هي أهم شرط لنمو جميع ميادين الثقافة، وخاصة العلم والفن. ومثلما تظل التكنولوجيا غير راضية عن الأدوات القياسية القديمة وتنشئ أدوات جديدة: مقاييس ميكرومتر وفولتميتر وما إلى ذلك، تهدف إلى تحقيق دقة أكبر من أي وقت مضى، كذلك، في مجال اللغة، القدرة على اختيار الكلمات المناسبة والجمع بينها بالطريقة المناسبة، نحن بحاجة إلى عمل دؤوب مستمر ومنهجي لتحقيق أكبر قدر من الدقة والوضوح والحيوية.

ويجب أن يكون أساس هذا العمل هو محاربة الأمية أو شبه الأمية أو قرب الأمية. المرحلة التالية في هذا العمل هي إتقان الأدب الروسي الكلاسيكي.

نعم، كانت الثقافة الأداة الرئيسية للقمع الطبقي. لكن الثقافة، وهي وحدها، يمكن أن تصبح أداة للتحرر الاشتراكي.

٣- التناقضات في ثقافتنا

الريف والمدينة

ما يميز وضعنا هو أننا—عند مفترق طُرق الغرب الرأسمالي والشرق الاستعماري الريفي—كنا أول من قام بثورة اشتراكية. لقد تأسس نظام الدكتاتورية البروليتارية لأول مرة في بلد له تراث هائل من التخلف والهمجية، بحيث تفصل قرون كاملة من التاريخ بين شعبنا بدو سيبيريا وبروليتاريي موسكو أو لينينغراد.

أشكالنا الاجتماعية تنتقل إلى الاشتراكية، وبالتالي فهي أعلى بشكل لا يقاس من الأشكال الرأسمالية. وبهذا المعنى لدينا ما يبرر اعتبار أنفسنا أكثر البلدان تقدما في العالم. لكن تقنيتنا، التي تكمن في أسس الوسائل أو أي ثقافة أخرى، متخلفة بشكل غير عادي مقارنة بالدول الرأسمالية المتقدمة. وهنا يكمن التناقض الأساسي لواقعنا الحالي.

تتمثل المهمة التاريخية التي تنبع من هذا التناقض في رفع مستوانا في التكنولوجيا إلى مستوى شكلنا الاجتماعي. إذا لم نتمكن من القيام بذلك، فإن بنيتنا الاجتماعية ستنخفض حتما إلى مستوى تخلفنا التكنولوجي. نعم، من أجل فهم الأهمية الكاملة للتقدم التكنولوجي بالنسبة لنا، يجب أن نقول لأنفسنا علانية: إذا لم نتمكن من تكملة الشكل السوفيتي لنظامنا الاجتماعي بالتكنولوجيا الإنتاجية المطلوبة، فسنستبعد إمكانية الانتقال إلى الاشتراكية وسنعود إلى الرأسمالية،-وإلى أي نوع ؟ إلى رأسمالية شبة استعبادية ،وشبه استعمار رأسمالي. النضال من أجل التكنولوجيا بالنسبة لنا هو النضال من أجل الاشتراكية، التي يرتبط بها مستقبل ثقافتنا بأكمله ارتباطًا وثيقًا.

فيما يلي مثال جديد ومعبر للغاية على تناقضاتنا الثقافية. قبل بضعة أيام ظهر تقرير في صحفنا مفادها أن مكتبتنا العامة في لينينغراد احتلت المركز الأول عندما يتعلق الأمر بعدد المجلدات: فهي تضم الآن ٤,٢٥٠,٠٠٠ كتاب! إحساسنا الأول هو الشعور المشروع بالفخر السوفيتي: مكتبتنا هي الأولى في العالم! إلى ماذا ندين بهذا الإنجاز ؟ للحقيقة أننا صادرنا المكتبات الخاصة. من خلال تأميم الملكية الخاصة، أنشأنا أغنى مؤسسة ثقافية، وهي متاحة للجميع. هذه الحقيقة البسيطة توضح بلا منازع المزايا العظيمة للنظام السوفيتي.

لكن في الوقت نفسه، يتم التعبير عن تخلفنا الثقافي في حقيقة أن نسبة الأمية في بلدنا أكبر من أي دولة أوروبية أخرى. المكتبة هي الأولى في العالم، ولكن حتى الآن أقلية من سكاننا تقرأ الكتب. هذا هو الحال في كل مجال تقريبًا. الصناعة المؤممة مع المشاريع العملاقة ولكن البعيدة كل البعد عن الخيال لدنيبروستروي، وقناة الفولغا—دون وما إلى ذلك—ومع ذلك الفلاحون يدرسون بسلاسل وبكرات. يتخلل تشريعنا للزواج روح اشتراكية، لكن العنف الجسدي لا يزال يلعب دورًا لا يستهان به في الحياة الأسرية. هذه التناقضات وغيرها تنبع من الهيكل الكامل لثقافتنا، التي تقع على مفترق طرق بين الغرب والشرق.

أساس تخلفنا هو الهيمنة الوحشية للريف على المدينة، والزراعة على الصناعة ؛ وعلاوة على ذلك، في نفس الوقت يهيمن على الريف نفسه أكثر الأدوات وطرق الإنتاج تخلفاً. عندما نتحدث عن العبودية التاريخية، فإننا نضع في الاعتبار في المقام الأول العلاقات العقارية، وعبودية الفلاح لمالك الأرض والمسؤول القيصري. لكن، أيها الرفاق، العبودية لها أساس أعمق تحتها: عبودية الإنسان للتربة ، والاعتماد الكامل للفلاح على العوامل الطبيعية.

هل قرأت جليب أوسبينسكي ؟ أخشى أن جيل الشباب لا يقرأ له. يجب أن نعيد نشر أعماله، أو على الأقل أفضل أعماله، فلديه بعض الأعمال الرائعة. كان اوسبينسكي نارودنيكي كان برنامجه السياسي مثالياً تمامًا. لكن أوسبينسكي، كاتب لعادات و اخلاق الريف، ليس فنانًا رائعًا فحسب، بل إنه أيضًا واقعي رائع. كان قادرًا على فهم الحياة اليومية للفلاح وعقليته كظواهر مشتقة تنمو على أساس اقتصادي والتي حُددت تمامًا من قبلها. كان قادرًا على فهم القاعدة الاقتصادية للريف على أنها عبودية الفلاح في عملية العمل على التربة، وبشكل عام على قوى الطبيعة.

يجب أن تقرأ بالتأكيد على الأقل كتابه (قوة الأرض). مع اوسبينسكي، يحل الحدس الفني محل الطريقة الماركسية، ومن خلال نتائجها، من نواح كثيرة تتنافس معها. لهذا السبب على وجه التحديد، كان الفنان اوسبينسكي دائمًا محاصرًا في قتال مميت مع أوسبينسكي نارودنيكي. حتى الآن لا يزال يتعين علينا التعلم من الفنان إذا أردنا فهم ما بقي من العبودية القوية في حياة الفلاحين، لا سيما في العلاقات الأسرية، والتي غالبًا ما تمتد إلى حياة المدينة: يكفي الاستماع بعناية إلى الملاحظات المختلفة للمناقشة التي تتكشف الآن بشأن مشاكل قوانين الزواج!

في جميع أنحاء العالم، جعلت الرأسمالية التناقض شديد التوتر بين الصناعة والزراعة، المدينة والبلد. في روسيا، بسبب تأخر تطورنا التاريخي، يحمل هذا التناقض طابعًا وحشيًا للغاية. بغض النظر عن مدى غرابة ذلك، فقد حاولت صناعتنا بالفعل مماثلة النماذج الأوروبية الغربية والأمريكية في وقت استمر فيه ريفنا في البقاء في أعماق القرنين السابع عشر والأبعد. حتى في أمريكا، من الواضح أن الرسمالية أثبتت أنها غير قادرة على رفع الزراعة إلى مستوى الصناعة. تنتقل هذه المهمة تمامًا إلى الاشتراكية.

في ظروفنا، مع الهيمنة الهائلة للريف على المدينة، تعد الزراعة الصناعية أهم جزء في البناء الاشتراكي.

و بالزراعة الصناعية نعني عمليتين، بتحليل نهائي، لا يمكن أن تمحو أخيراً الحدود بين المدينة والريف إلا إذا أخذتا معاً. فلنتطرق أكثر إلى هذه المسألة والتي هي مهمة كثيراً بالنسبة لنا.

وتتكون الزراعة الصناعية، من جهة، من فصل مجموعة كاملة من الفروع المعنية بالتجهيز الأولي للموارد الصناعية الخام والمواد الغذائية عن الاقتصاد المنزلي الريفي. وبالنسبة لجميع الصناعات بشكل عام، فقد جاءت من الريف، عن طريق الحرف اليدوية للقرية والإنتاج البدائي، من خلال فصل مختلف الفروع عن النظام المغلق للاقتصاد المحلي، من خلال التخصص، وإنشاء التلمذة الصناعية والتكنولوجيا اللازمة، ومن ثم ايضاً إنتاج الآلات. سيتعين على صنعنتنا السوفيتية أن تسير على هذا الطريق إلى حد كبير، أي على طريق إضفاء الطابع الاجتماعي على سلسلة

كاملـة مـن العمليـات الإنتاجيـة التـي تقـف بيـن الزراعـة، بالمعنـى الحقيقـي للكلمـة، والصناعـة.

يُظهر مثال الولايات المتحدة أن الاحتمالات غير المحدودة تكمن أمامنا.

لكـن السـؤال لـم يسـتنفد مـا قلنـاه. التغلـب علـى التناقضـات بيـن الزراعـة والصناعـة يفتـرض صنعنـة زراعـة المحاصيـل الحقليـة وتربيـة الحيوانـات والبسـتنة ومـا إلـى ذلـك. وهـذا يعنـي أنـه حتـى هـذه الفـروع مـن الإنتـاج يجـب أن تسـتند إلـى التكنولوجيـا العلميـة: الاسـتخدام الواسـع للآلات فـي الجمـع الصحيـح، التحـول التـام للجـرارات والكهربـاء، الإخصـاب، التنـاوب السـليم للمحاصيـل، الاختبـار المختبـري للأسـاليب والنتائـج، التنظيـم الصحيـح لعمليـة الإنتـاج بأكملهـا مـع الاسـتخدام الأكثـر عقلانيـة لقـوة العمـل، إلـخ.

بالطبـع، حتـى زراعـة الحقـول عاليـة التنظيـم سـتختلف مـن بعـض النواحـي عـن الهندسـة. ولكـن حتـى فـي الصناعـة، تختلـف الفـروع المختلفـة اختلافًـا عميقًـا عـن بعضهـا البعـض. إذا كان لدينـا اليـوم مـا يبـرر المعارضـة بيـن الزراعـة والصناعـة ككل، فذلـك لأن الزراعـة تتـم علـى نطـاق صغيـر وبوسـائل بدائيـة، مـع اعتمـاد ذليـل مـن المنتِـج علـى ظـروف الطبيعـة وظـروف الوجـود غيـر المثقفـة للغايـة للفلاحيـن.

لا تكفـي التنشـئة الاجتماعيـة، أي التحـول إلـى المصانـع، وفـروع محـددة للزراعـة اليـوم، مثـل صناعـة الزبـدة، وصنـع الجبـن، وإنتـاج النشـا أو الدبـس، إلـخ. يجـب علينـا إضفـاء الطابـع الاجتماعـي علـى الزراعـة نفسـها، أي تمزيقهـا بعيـدًا عـن حالـة التجزئـة الحاليـة واسـتبدال الحفـر المـزري اليـوم فـي التربـة بمصانـع الحبـوب والجـاودار المنظمـة علميًـا، بمصانـع تجهيـز الماشـية والأغنـام، ومـا إلـى ذلـك.

ويتضـح ذلـك جزئيـا مـن التجربـة الرأسـمالية القائمـة بالفعـل، ولا سـيما فـي التجربـة الزراعيـة للدانمـارك، حيـث خضعـت حتـى الدجـاج للتخطيـط والتوحيـد القياسـي؛ يضعـون البيـض حسـب الجـدول الزمنـي، بكميـات هائلـة، وبنفـس الحجـم واللـون. تعنـي الزراعـة الصناعيـة القضـاء علـى التناقـض الأساسـي اليـوم بيـن الريـف والمدينـة، وبالتالـي بيـن الـفلاح والعامـل: عندمـا يتعلـق الأمـر بدورهـم فـي اقتصـاد الأمـة أو مسـتويات معيشـتهم أو مسـتواهم الثقافـي، يجـب عليهـم تقريـب بعضهـم البعـض إلـى درجـة تجعـل الحـد الفاصـل بينهمـا قـد اختفـى.

مجتمـع تكـون فيـه الزراعـة الآليـة للحقـول جـزءًا متسـاويًا مـن الاقتصـاد المخطـط، حيـث تمتـص المدينـة ذاتهـا مزايـا الريـف (المسـاحات المفتوحـة والمسـاحات الخضـراء)، بينمـا يثـري الريـف نفسـه بمزايـا المدينـة (الطـرق المعبَّـدة، والأضـواء الكهربائيـة، وإمـدادات الميـاه عبـر الأنابيـب، وشـبكة الصـرف الصحـي)، حيـث يختفـي التناقـض الشـديد بيـن المدينـة والريـف، حيـث يتحـول الـفلاح والعامـل إلـى مشـاركين متسـاوين فـي القيمـة والحقـوق فـي عمليـة إنتـاج واحدة—سـيكون هـذا المجتمـع ايضـاً مجتمعًـا اشـتراكيًا حقيقيًـا.

الطريـق إلـى هـذا المجتمـع طويـل وصعـب. تعـد محطـات الطاقـة الكهربائيـة الضخمـة أهـم المعالـم علـى طـول الطريـق. سـوف يجلبـون إلـى القريـة كلاً مـن الضـوء وقـوة النقـل: قـوة الارض مقابـل قـوة الكهربـاء!

منـذ وقـت ليـس ببعيـد افتتحنـا محطـة شـاتورا للطاقـة، وهـي واحـدة مـن أفضـل الابنيـة لدينـا، مبنيـة علـى مسـتنقع الخـث. مـن موسـكو إلـى شـاتورا أكثـر بقليـل مـن مائـة كيلومتـر. يبـدو أنهـم يسـتطيعون الاقتـراب مـن بعضهـم. ومـع ذلـك يـا لـه مـن اختـلاف فـي الظـروف! موسـكو هـي عاصمـة الشـيوعية الدوليـة. لكنـك تقطـع بضـع عشـرات مـن الكيلومتـرات وتجـد الغابـات غيـر المأهولـة مـع أشـجار التنـوب المثقلـة بالثلـوج والمسـتنقعات المتجمـدة والوحـوش البريـة. تقـع القـرى الصغيـرة المظلمـة مـن الاكـواخ الخشـبية غافيـة تحـت الثلـج. فـي بعـض الأحيـان يمكـن رؤيـة مسـارات الذئـاب مـن نافـذة عربـة السـكة

الحديديـة.

حيـث توجـد محطـة شـاتورا الآن، قبـل بضـع سـنوات، عندمـا بـدأوا البنـاء، يمكـن العثـور علـى الأيائـل. الآن المسـافة بيـن موسكو وشـاتورا مغطـاة بسلسـة انيقـة مـن الصـواري المعدنيـة التـي تحمـل الاسلاك بتيـار ١١٥,٠٠٠ فولـت. وتحـت هـذه الصواري،فـي هـذا الربيـع سـتلد الثعالـب والذئـاب صغارهـا.

هـذا هـو الحـال مـع ثقافتنـا بأكملهـا - فهـي مصنوعـة مـن التناقضـات الأكثـر شـدة، مـن أعلـى إنجـازات التكنولوجيـا وتعميـم الفكـر مـن ناحيـة، ومـن التايغـا البدائيـة مـن ناحيـة أخـرى.

تعيـش شـاتورا علـى الخـث كمـا لـو كان مرعـى. فـي الواقـع، كل المعجـزات التـي خلقهـا الخيـال الطفولـي للديـن، وحتـى الخيـال الإبداعـي للشـعراء، تتضائـل أمـام هـذه الحقيقـة البسـيطة: الآلات التـي تشـغل مسـاحة ضئيلـة تلتهـم المسـتنقع القديـم، وتحولـه إلـى طاقـة مخفيـة، وتعيـده علـى طـول الاسلاك النحيلـة إلـى نفـس الصناعـة التـي أنشـأت هـذه الآلات وضبطتهـا. شـاتورا شـيء مـن الجمـال. تـم صنعـه مـن قبـل بنـاة موهوبيـن ومكرسـين لعملهـم. جمالهـا ليـس مصطنعًـا وليـس زخرفـة مبهرجـة، ولكنـه ينمـو مـن الخصائـص الداخليـة ومتطلبـات التكنولوجيـا نفسـها. أعلـى معيـار للتكنولوجيـا، بـل والوحيـد، هـو ملاءمتهـا للغـرض. أختبـار اللياقـة الوظيفيـة هـو كفائتهـا علـى الاقتصـاد. وهـذا يفتـرض أكبـر تناسـق بيـن الـكل وأجزائـه، بيـن الوسـائل والغايـات. يتزامـن المعيـار الاقتصـادي والتكنولوجـي تمامًـا مـع المعاييرالجماليـة. يمكننـا أن نقـول، وهـذا لـن يكـون مفارقـة: شـاتورا شـيء مـن الجمـال لأن الكيلوواط/سـاعة مـن طاقتـه أرخـص مـن الكيلوواط/سـاعة للمحطـات الأخـرى التـي تـم بناؤهـا فـي ظـروف مماثلـة.

تقـع شـاتورا علـى مسـتنقع. لدينـا العديـد مـن المسـتنقعات فـي الاتحـاد السـوفيتي، أكثـر بكثيـر مـن محطـات الطاقـة. ولدينـا العديـد مـن أشـكال الوقـود التـي تنتظـر أن تتحـول إلـى طاقـة ميكانيكيـة. فـي الجنـوب، يجـرى دنيبـر عبـر أغنـى منطقـة صناعيـة، ممـا ينفـق القـوى القويـة لـرأس المـاء علـى لا شـيء ؛ إنـه يلعـب علـى طـول المنحـدرات التـي يعـود تاريخهـا إلـى قـرون، وينتظـر منـا كبـح جريانـه بسـد، ممـا يجبـره علـى الإنـارة، والانـطلاق فـي الحركـة وإثـراء مدننـا ومصانعنـا وحقولنـا. دعونـا نجبـره علـى ذلـك!

وفـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، يتلقـى كل سـاكن ٥٠٠ كيلوواط/سـاعة مـن الطاقـة سـنويا ؛ هنـا، الرقـم ٢٠ كيلـوواط/ سـاعة فقـط، أي أقـل بخمـس وعشـرين مـرة. بشـكل عـام لدينـا قـوة قيـادة ميكانيكيـة أقـل بخمسـين مـرة للفـرد مقارنـة بالولايـات المتحـدة.

النظـام السـوفيتي المجهـز بالتكنولوجيـا الأمريكيـة سـيكون ذلـك هـو الاشـتراكية. سـيقدم نظامنـا الاجتماعـي التقنيـة الأمريكيـة فـي تطبيـق مختلـف و أكثـر عقلانيـة بشـكل لا يضاهـى. ولكـن بعـد ذلـك سـتغيَّر التكنولوجيـا الأمريكيـة نظامنـا الاجتماعـي وتحـرره مـن تـراث التخلـف والبدائيـة والهمجيـة.

إن الجمـع بيـن النظـام السـوفيتي والتكنولوجيـا الأمريكيـة سـيلد تقنيـة جديـدة وثقافـة جديدة—تكنولوجيـا وثقافـة للجميـع، بـدون مفضـلات أو منبوذيـن.

مبدأ "الناقل" للاقتصاد الاشتراكي

مبـدأ الاقتصـاد الاشـتراكي هـو الانسـجام، أي الاسـتمرارية القائمـة علـى الوفـاق الداخلـي. مـا هـو الناقـل ؟ حـزام متحـرك لا نهايـة لـه يَجلـب للعامـل أو يأخـذ منـه أي شـيء تتطلبـه وتيـرة عملـه. مـن المعـروف الآن علـى نطـاق واسـع كيـف تسـتخدم

فورد مزيجًا من النواقل كوسيلة للنقل الداخلي: الانتقال والإمداد. لكن الناقل هو شيء أكثر من ذلك: إنه طريقة لتنظيم عملية الإنتاج ذاتها، بقدر ما يضطر العامل إلى تنسيق تحركاته مع حركة حزام لا نهاية له.

تستخدم الرأسمالية هذا من أجل استغلال أعلى وأكثر اتقاناً للعامل. لكن مثل هذا الاستخدام مرتبط بالرأسمالية، وليس بالناقل بنفسه. في الواقع، إلى أين يتجه تطوير أساليب تنظيم العمل.

في اتجاه اسلوب عمل القطعة كاملة أم في اتجاه اسلوب الناقل ؟ كل شيء يشير إلى الناقل. عمل القطعة كاملة ، مثل أي شكل آخر من أشكال السيطرة الفردية على العمل، هو سمة الرأسمالية خلال العصور المبكرة من تطورها. بهذه الطريقة يضمن عبء عمل فسيولوجي كامل للعامل الفردي، لكنه لا يضمن الجهود المنسقة لمختلف العمال. يتم حل كلتا المشكلتين تلقائيًا بواسطة الناقل.

ويجب على التنظيم الاشتراكي للاقتصاد أن يسعى إلى تخفيف العبء الفسيولوجي الملقى على عاتق العمال الأفراد وفقاً لنمو القوة التكنولوجية، وفي الوقت نفسه الحفاظ على تنسيق جهود العمال المختلفين. وهذا بالضبط سيكون أهمية الناقل الاشتراكي على عكس الناقل الرأسمالي.

بالحديث بشكل أكثر واقعية، فإن النقطة الرئيسية هنا هي تنظيم حركة الحزام بالنظر إلى عدد معين من ساعات عمل العمال، أو على العكس من ذلك، في تنظيم وقت العمال نظرًا لسرعة حزام معينة.

في ظل النظام الرأسمالي، يتم تنفيذ الناقل في إطار مؤسسة واحد، كوسيلة للنقل الداخلي. لكن مبدأ الناقل على هذا النحو أوسع بكثير.

تتلقى كل مؤسسة منفصلة من الخارج مواد خام ووقود ومواد مساعدة وقوة عمل تكميلية. والعلاقات بين المؤسسات المنفصلة، حتى أكثرها عظمة، تنظمها قوانين السوق، وإن كان صحيحا أن هذه القوانين محدودة في كثير من الحالات بمختلف أنواع الاتفاقات طويلة الأجل.

لكن كل مصنع يُؤخذ بشكل منفصل، بل وأكثر من ذلك المجتمع ككل، مهتم بحقيقة أن المواد الخام يتم توفيرها في الوقت المحدد، وأنها لا تتراكم باسراف في المستودعات أو تخلق فترات توقف في الإنتاج، بمعنى آخر، أنه مهتم بتوفير هذه الماده لمبدأ الناقل، في تطابق كامل مع إيقاع الإنتاج. في هذا ليست هناك حاجة لتخيل الناقل دائمًا على شكل حزام متحرك لا نهاية له.

يمكن أن تكون أشكاله من التنوع اللامحدود. السكك الحديدية، إذا تعمل وفقًا للخطة، أي بدون نقل متقاطع، ودون تراكم موسمي للأحمال، باختصار، بدون عناصر الفوضى الرأسمالية- وفي ظل الاشتراكية ستعمل السكك الحديدية بهذه الطريقة بالضبط - هي ناقل قوي، يضمن إمداد المصانع في الوقت المناسب بالمواد الخام والوقود والمواد والأشخاص. الشيء نفسه ينطبق على السفن البخارية والشاحنات وما إلى ذلك. وستصبح جميع أشكال الاتصال عناصر نقل لنظام الإنتاج الداخلي من وجهة نظر الاقتصاد المخطط ككل. خطوط أنابيب النفط هي نوع من نواقل للمواد السائلة. كلما كانت شبكة أنابيب النفط أكثر انتشارًا، كلما قل احتياجنا إلى الخزانات، وكلما كان الجزء الأصغر من النفط يتحول إلى رأس مال راكد.

لا يفترض نظام الناقل بأي حال من الأحوال ان تكون الشركات قريبة جداً من بعضها. على العكس من ذلك، تسمح التكنولوجيا الحديثة إمكانية توزيعها، ليس بالطبع بطريقة فوضوية وعشوائية، ولكن مع الأخذ في الاعتبار بدقة المكان

الأكثر مزايا لكل مصنع منفصل.

إن إمكانية التوزيع الواسع للشركات الصناعية، والتي بدونها لايمكن دمج المدينة في القرية، والقرية في المدينة، مضمونة إلى حد كبير بالطاقة الكهربائية كقوة دافعة. الاسلاك المعدنية هي الناقل الأكثر كمالاً للطاقة، مما يجعل من الممكن تقسيم القوة الدافعة إلى أصغر الوحدات، أو تشغيلها أو إيقاف تشغيلها بمجرد الضغط على زر.

وبهذه الخصائص على وجه التحديد، تدخل ناقل الطاقة في أكثر الاصطدامات حدية مع التقسيمات من قبل الملكية الخاصة. في تطورها الحالي، تعد الكهرباء أكثر قطاعات التكنولوجيا "اشتراكية". ولا عجب في ذلك، لأن الكهرباء هى القطاع الأكثر تقدمًا.

إن النظم العملاقة لتحسين الأراضي - من أجل الري السليم أو الصرف الصحي - من هذا المنطلق، هي ناقلات المياه للزراعة. وكلما كانت الكيمياء والهندسة والكهرباء تحرر زراعة الأراضي من تأثير العوامل الطبيعية، مما يضمن أعلى مستوى من الانتظام المخطط، كلما كان زراعه اليوم-الحاضر أكثر اكتمالا في نظام ناقل اشتراكي ينظم وينسق جميع الإنتاج، بدءاً من باطن الأرض (استخراج الفحم والخام) والتربة (حرث الحقول وزرعها).

على أساس تجربته بالناقل، يحاول الرجل العجوز فورد بناء نوع من فلسفة اجتماعية. في هذه المحاولة له نرى مزيجًا مثيرًا للفضول للغاية من الخبرة على نطاق كبير بشكل استثنائي فى مجال ادارة الإنتاج مع ضيق لا يطاق من فيلسوف متعجرف، الذي أصبح مليونيراً، بينما ظَلَّ مجرد برجوازي صغير لديه الكثير من النقود.

يقول فورد: "إذا كنت تريد ثروات لنفسك ورفاهية لمواطنيك، فتصرف كما أفعل". طالبَ كانط كل شخص بالتصرف حتى يصبح سلوكه معيارًا للآخرين. بالمعنى الفلسفي، فورد هو من اتباع كانط. لكن عملياً "المعيار" لعمال فورد البالغ عددهم ٢٠٠,٠٠٠ ليس سلوك فورد، ولكن الحركة المستمرة لناقله الآلي: يحدد إيقاع حياتهم وحركة أيديهم وأقدامهم وتفكيرهم.

من أجل "رفاهية مواطنيك"، يجب فصل الفوردية عن فورد وأن تكون اجتماعية ومنقاة. الاشتراكية ستفعل ذلك.

"ولكن ماذا عن رتابة العمل، المجردة من الشخصية والروحانية من قبل الناقل؟" تسأل إحدى الملاحظات من الجمهور. هذا القلق ليس خطيرا. إذا فكرت و أذا ناقشت الأمر حتى النهاية ، فهو موجه بشكل أساسي ضد تقسيم العمل وضد الآلات بشكل عام. هذا طريق رجعي. الاشتراكية ومقاومة الآلات لم يكن لهما أي شيء مشترك، ولن يفعلوا ذلك أبدًا.

والمهمة الأساسية والأكثر أهمية والرئيسية هي القضاء على الفقر. من الضروري أن يعطي العمل البشري أكبر كمية ممكنة من المنتجات. الخبز والأحذية والملابس والصحف - كل ما هو ضروري يجب أن يكون متوفر بكمية لا يخشى أحد انها لن تكون كافية. يجب أن نقضي على الفقر، وإلى جانبه، الجشع. يجب أن تحقيق الرخاء والترفيه ومعهم فرحة العيش للجميع.

لا يمكن تحقيق إنتاجية عالية للعمالة بدون الميكنة والأتمتة، والتعبير النهائي عنها هو الناقل. يتم تعويض رتابة العمل من خلال تقصير مدتها وسهولتها المتزايدة. سيكون للمجتمع دائمًا فروع من الصناعة تتطلب إبداعًا فرديًا ؛ هذا هو الطريق الذي سيذهب إليه أولئك الذين يجدون موهبتهم في الإنتاج.

نحن نهتم، بالطبع، بالنوع الأساسي من الإنتاج في أهم فروعه، حتى على الاقل تطيح ثورات الكيمياء الحديثة والطاقة الجديدة في التكنولوجيا بأشكال الميكنة الحالية. لكننا سنترك المستقبل يقلق بشأن ذلك. يتطلب السفر في زورق مدفوعاً بالمجاديف إبداعًا شخصيًا رائعًا. أما السفر على متن سفينة بخارية فهي "أكثر رتابة" ولكنها أكثر راحة وموثوقية.

علاوة على ذلك، لن تتمكن من عبور المحيط في زورق تجديف. ويجب علينا أن نعبر محيط من الأحتياج البشري.

يعلم الجميع أن الاحتياجات الفيزيولوجية محدودة أكثر بكثير من الاحتياجات الروحية. سرعان ما يؤدي الإشباع المفرط للاحتياجات الفيزيولوجية إلى الشبع. الاحتياجات الروحية لا تعرف حدودًا.

ولكن لكي تزدهر الحاجات الروحية، يلزم الاكتفاء الكامل بالحاجات الفيزيولوجية. بالطبع، لا يمكننا، ولا تأجيل الكفاح من أجل رفع المستوى الروحي للجماهير حتى الوقت الذي لا توجد فيه بطالة ومشاكل التشرد و الفقر. يجب القيام بكل ما يمكن القيام به.

ولكن سيكون من الحلم البائس والازدراء في التفكير في أنه يمكننا إنشاء ثقافة جديدة حقًا قبل أن نؤمِّن الازدهار والوفرة والترفيه للجماهير الشعبية .

يمكننا وسنتحقق من تقدمنا كما يتم التعبير عنه في الحياة اليومية للعامل والفلاح.

الثورة الثقافية

أعتقد أنه من الواضح الآن للجميع أن إنشاء ثقافة جديدة ليس مهمة مستقلة يتم إنجازها بصرف النظر عن عملنا الاقتصادي والبناء الاجتماعي أو الثقافي ككل.

هل التجارة جزء من "الثقافة البروليتارية ؟"من وجهة نظر مجردة، سيتعين علينا الإجابة على هذا السؤال بالنفي. لكن وجهة النظر المجردة ليس لها قيمة. وفضلا عن ذلك، ففي الفترة الانتقالية، خاصةً في المرحلة الأولية التي نقع فيها، تفترض المنتجات الشكلَ الاجتماعي للسلعة، وستظل تفعل ذلك لفترة طويلة. لكن يجب ان نعرف كيف نتعامل مع السلعة بشكل صحيح، أي يجب أن نكون قادرين على بيعها وشرائها. بدون هذا، لن ننتقل أبدًا من المرحلة الأولية إلى المرحلة التالية. قال لينين إنه يجب أن نتعلم التجارة، وأوصى بأن نتعلم من الأمثلة الثقافية الأوروبية. ثقافة التجارة، كما نعلم الآن جيدًا، هي واحدة من أهم مكونات ثقافة الفترة الانتقالية. ما إذا كنا يجب ان نطلق على ثقافة التجارة للدولة العمالية والتعاونيات "الثقافة البروليتارية" - لا أعرف. لكن كونها خطوة نحو الثقافة الاشتراكية أمر لا جدال فيه.

عندما تحدث لينين عن الثورة الثقافية، رأى أن محتواها الأساسي هو رفع المستوى الثقافي للجماهير. النظام المتري هو نتاج العلوم البرجوازية. لكن تعليم مائة مليون فلاح هذا النظام غير المعقد من القياسات يعني إنجاز مهمة ثورية- ثقافية عظيمة. يكاد لا شك أننا لن نحقق ذلك بدون الجرار وبدون طاقة كهربائية. أساس الثقافة هو التكنولوجيا. يجب أن تكون الثورة في التكنولوجيا هي الأداة الحاسمة للثورة الثقافية.

فيما يتعلق بالرأسمالية، نقول إن تنمية القوى المنتجة تضغط ضد الأشكال الاجتماعية للدولة البرجوازية والممتلكات البرجوازية. بعد أنجاز بالثورة البروليتارية، نقول إن تطوير الأشكال الاجتماعية يضغط ضدتطوير القوى المنتجة، أي التكنولوجيا. الحلقة الكبرى في السلسلة، والتي إذا استولينا عليها يمكن أن تؤدي إلى الثورة الثقافية، هي حلقة التصنيع،

ولكن ليس بأي حال من الأحوال حلقة الأدب أو الفلسفة. آمل ألا تُفهم هذه الكلمات على أنها موقف سيء أو غير محترم تجاه الفلسفة والشعر. بدون تعميم الفكر وبدون الفن، ستكون حياة الإنسان عارية وفقيرة. لكن بعد كل شيء، هذا، إلى حد كبير، هو كيف هي الحياة الآن لملايين الناس. يجب أن تتمثل الثورة الثقافية في فتح إمكانية وصولهم حقًا إلى الثقافة، وليس فقط بقاياها المتبقية.

لكن هذا مستحيل بدون خلق أعظم الشروط المادية المسبقة. هذا هو السبب في أن الآلة التي تنتج الزجاجات تلقائيًا هي بالنسبة لنا في الوقت الحالي عامل من الدرجة الأولى في الثورة الثقافية، في حين أن القصيدة البطولية ليست سوى عامل من الدرجة العاشرة.

قال ماركس ذات مرة إن الفلاسفة قد فسروا العالم بشكل كافٍ، وأن المهمة الآن هي قلبه رأسًا على عقب. بهذه العبارة لم يكن هناك بأي حال من الأحوال عدم احترام للفلسفة. كان ماركس نفسه أحد أعظم الفلاسفة في كل العصور.

كانت كلماته تعني ببساطة أن زيادة تطوير الفلسفة والثقافة ككل، المادية والروحية، تتطلب ثورة في العلاقات الاجتماعية. وبالتالي، ناشد ماركس الفلسفة إلى الثورة البروليتارية، ليس ضد الفلسفة، ولكن من أجلها.

وبنفس المعنى، يمكننا الآن أن نقول: لا بأس عندما يغني الشعراء للثورة والبروليتاريا ؛ لكنه يكون أفضل عندما يقوم التوربين القوي بالغناء. لدينا العديد من الأغاني ذات القيمة العادية والتي تظل ملكًا لدوائر صغيرة. لدينا عدد قليل جدًا من التوربينات.

بهذا لا أريد أن أقول إن القصائد المتواضعة تعيق ظهور التوربينات. لا، لا يمكن تقديم مثل هذا التأكيد. لكن التوجه الصحيح للرأي العام، أي فهم الارتباط الحقيقي للظواهر - لماذا وأين - ضروري للغاية.

يجب ألّا تفهَم الثورة الثقافية بطريقة مثالية سطحية ولا بروح الدوائر الدراسية الصغيرة. إنها مسألة تغيير ظروف الحياة وأساليب العمل والعادات اليومية لشعب عظيم ولأسرة كاملة من الشعوب.

فقط نظام قوي من الجرارات الذي سيسمح للفلاح لأول مرة في التاريخ بتقويم ظهره ؛ فقط آلة نفخ الزجاج التي تنتج مئات من الزجاجات وتحرر رئتي نافخ الزجاج في الزمن القديم ؛ فقط توربينات من عشرات ومئات الآلاف من قوة الحصان ؛ فقط طائرة في متناول الجميع ؛ - فقط كل هذه الأشياء معًا ستضمن الثورة الثقافية؛ ليس للأقلية ولكن للجميع. فقط هذا النوع من الثورة الثقافية يستحق الاسم. فقط على هذا الأساس ستبدأ فلسفة جديدة وفن جديد في الازدهار.

قال ماركس: "الأفكار المهيمنة على العصر هي أفكار الطبقة الحاكمة في ذلك العصر". هذا صحيح أيضًا فيما يتعلق بالبروليتاريا، ولكنها تعني شيئاً مختلفاً تمامًا عن ما تعنيه في العلاقات مع الطبقات الأخرى.

بعد الاستيلاء على السلطة، حاولت البرجوازية إدامتها. تم تكييف ثقافتها كاملة لهذا الغرض. بعد أن تتولى البروليتاريا السلطة، يجب أن تسعى حتمًا إلى تقصير فترة حكمها قدر الإمكان، وهي أن تكون اقرب إلى المجتمع الاشتراكي اللاطبقي.

ثقافة الأخلاق

إن التجارة بطريقة مثقفة تعني، من بين أمور أخرى، عدم الخداع، أي الخروج عن تقاليدنا التجارية الوطنية: "إذا لم تخدع، فلن تقوم بالبيع".

الكذب والخداع ليس مجرد ذنب شخصي، ولكنه وظيفة للنظام الاجتماعي. الكذب وسيلة للنضال، وبالتالي فهو ينبع من تناقض المصالح. التناقضات الأساسية تنبع من العلاقات الطبقية.

بالطبع، يمكن للمرء أن يقول إن الخداع أقدم من المجتمع الطبقي. حتى الحيوانات تظهر المكر وتخدع الاخرين في النضال من أجل البقاء. الخداع - المكر العسكري - لعب دورًا معتبراً في حياة القبائل البدائية. لا يزال هذا الخداع يتدفق بشكل أو بآخر عن صراع البقاء الحيواني.

ولكن منذ اللحظة التي وصل فيها المجتمع "المتحضر"، أي المجتمع الطبقي، أصبحت الكذبة أكثر تعقيدًا بشكل رهيب، وتحولت إلى وظيفة اجتماعية، وانقسمت على طول الخطوط الطبقية وأصبحت أيضًا جزءًا من "الثقافة" الإنسانية.

لكن هذا هو الجزء من الثقافة الذي لن تتبناه الاشتراكية. ستكون العلاقات في المجتمع الاشتراكي ؛ أعلى تطور في المجتمع الاشتراكي، شفافة تمامًا ولن تتطلب أساليب مساعدة مثل الخداع والأكاذيب والتزييف والتزوير والخيانة والغدر.

ومع ذلك، ما زلنا بعيدين عن ذلك. في علاقاتنا وأخلاقنا لا تزال هناك أكاذيب كثيرة متجذرة في كل من العبودية والنظام البرجوازي. أعلى تعبير عن أيديولوجية العبودية هو الدين. كانت العلاقات في المجتمع الإقطاعي الملكي قائمة على التقاليد العمياء ورُفعت إلى مستوى الأسطورة الدينية. الأسطورة هي التفسير الوهمي والخاطئ للظواهر الطبيعية والمؤسسات الاجتماعية في ترابطها. ومع ذلك، ليس فقط المخدوعين، أي الجماهير المضطهدة، ولكن أيضًا أولئك الذين تم الخداع باسمهم - الحكام - في الغالب يؤمنون بالأسطورة وتقودهم بضمير حي. الأيديولوجية الخاطئة بشكل موضوعي، المنسوجة من الخرافات، لا تعني بالضرورة الكذب الذاتي. فقط إلى الحد الذي تصبح فيه العلاقات الاجتماعية أكثر تعقيدًا، أي إلى الحد الذي يتطور فيه النظام الاجتماعي البرجوازي، والذي تتناقض معه الأسطورة الدينية بشكل متزايد، يصبح الدين مصدرًا لمزيد من المكروالخداع المتعمَّد.

الأيديولوجية البرجوازية المتطورة هي عقلانية وموجهة ضد الأساطير. حاولت البرجوازية الراديكالية الاستغناءَ عن الدين وبناء دولة على أساس العقل بدلاً من التقاليد. هذا تم التعبير عنه بالديمقراطية بمبادئها المتمثلة في الحرية والمساواة والأخوة. ومع ذلك، خلق الاقتصاد الرأسمالي تناقضًا وحشيًا بين الواقع اليومي والمبادئ الديمقراطية. مطلوب شكل أعلى من الكذب لملء هذا التناقض. لا يوجد مكان للكذب السياسي مثل الديمقراطيات البرجوازية. ولم يعد هذا موضوعي "الكذب" في الأساطير، ولكن الخداع المنظم بوعي للشعب، باستخدام أساليب ممزوجة ذات تعقيد غير عادي. يتم زراعة تكنولوجيا الكذبة ما لا يقل عن تكنولوجيا الكهرباء. أكثر الديمقراطيات "تقدمًا"، فرنسا والولايات المتحدة، تمتلك الصحافة الأكثر كذباً.

لكن في الوقت نفسه - وهذا يجب أن نعترف به علنًا - في فرنسا يتاجرون بأمانة أكثر من هنا، وعلى أي حال، مع المزيد من الاهتمام بشكل لا يُضاهى لمتطلبات العميل. بعد أن حققت مستوى معينًا من الرفاهية، تتخلى البرجوازية عن الأساليب المخادعة للتكديس البدائي، ليس من أي اعتبارات أخلاقية مجردة، ولكن لأسباب مادية: الخداع التافه والتزوير والجشع يفسد سمعة المؤسسة ويقوض مستقبلها. إن مبادئ التجارة "النزيهة"، المنبثقة عن مصالح التجارة

نفسها على مستوى معين من تطورها، تدخل في الأخلاق وتصبح قواعد "أخلاقية" ويسيطر عليها الرأي العام. صحيح، في هذا المجال أيضًا، أدخلت الحرب الإمبريالية تغييرات هائلة، مما أدى إلى تاخر أوروبا الغربية كثيراً. لكن جهود "استقرار" الرأسمالية بعد الحرب تغلبت على أكثر الأشكال الخبيثة للعودة إلى الوحشية في التجارة. على أي حال، إذا أخذنا تجارتنا السوفيتية على نطاق كامل، أي من المَصنع إلى المستهلك في القرية البعيدة، فيجب أن نقول إننا نتاجر بطريقة أقل ثقافة بشكل لا يقاس من البلدان الرأسمالية المتقدمة. وهذا ينبع من فقرنا، ومن نقص السلع الأساسية، ومن تخلفنا الاقتصادي والثقافي.

إن نظام الدكتاتورية البروليتارية معاد بشكل لا يمكن التوفيق فيه بين كل من الأساطير المزيفة موضوعياً في العصور الوسطى والزيف الواعي للديمقراطية الرأسمالية. يهتم النظام الثوري بشكل حيوي بوضع علاقات اجتماعية مكشوفة بدلاً من إخفائها. هذا يعني أنه مهتم بالصدق السياسي وقول ما هو. ولكن يجب ألا ننسى أن نظام الديكتاتورية الثورية نظام انتقالي، وبالتالي نظام متناقض. إن وجود أعداء أقوياء يجبرنا على استخدام المكر العسكري، والمكر لا ينفصل عن الكذب. حاجتنا الوحيدة هي أن المكر الذي يستعمل في النضال ضد أعدائنا لا يضلل شعبنا، أي الجماهير العاملة وحزبها. هذا مطلب أساسي للسياسة الثورية يمكن رؤيته في جميع أعمال لينين.

ولكن في حين أن دولتنا وأشكالنا الاجتماعية الجديدة تخلق إمكانية وضرورة درجة من الصدق أكبر مما تحقق في أي وقت مضى بين الحكام والمحكومين، لا يمكن قول الشيء نفسه عن علاقاتنا بالحياة اليومية ؛ وهنا لا يزال تخلفنا الاقتصادي والثقافي - وبشكل عام تراثنا الكامل من الماضي - يمارس ضغوطا هائلة. نحن نعيش أفضل بكثير مما كنا عليه في عام ١٩٢٠. لكن النقص في أهم مستلزمات الحياة لا يزال يترك بصماته على حياتنا وأخلاقنا، وسيستمر في القيام بذلك لسنوات عديدة قادمة. من هنا تتدفق التناقضات الكبيرة والصغيرة، وعدم التناسب الكبير والصغير، والنضال المرتبط بالتناقضات، والدهاء والغش والأكاذيب والخداع كلها مرتبطة بالنضال. هنا يوجد مهرب واحد فقط: رفع مستوى التكنولوجيا عندنا، سواء في الإنتاج أو في التجارة. والتوجه الصحيح على هذا المنوال ينبغي أن يسهم في حد ذاته في تحسين "الأخلاق". والتفاعل بين التكنولوجيا الآخذة في الارتفاع والأخلاق سيجعلنا نتقدم على طول الطريق إلى نظام اجتماعي من المتعاونين المتحضرين، أي إلى ثقافة اشتراكية. [1]

العودة إلى الصفحة الأولى

1 Famusov is a main character in Griboedov›s play, Woe from Wit (1824). A highly placed Moscow bureaucrat and careerist, he is particularly ingratiating before his superiors and arrogant toward his subordinates. As an arch-conservative, he fears nothing more than innovation and "free-thinking." Lenin used the reference in an interesting passage: "Our party Famusovs are not against playing the role of sharp and ruthless fighters for Marxism, but when it comes to factional favoritism, they are not against camouflaging the most serious retreats from Marxism!" (V. I. Lenin, «From the Editors,» PSS, vol. 17, p.185) [Ashukin & Ashukina, Krylatye slova, M., 1986, p.657].

Of course, the cultivation of a pseudo-Freudianism as erotic overindulgence or mischief has nothing in common with this question. Such wagging of the tongue bears no relation to science, and represents only decadent moods: the center of gravity is shifted from the brain to the spinal cord... L.T.

المسألة اليهودية

أبرام ليون

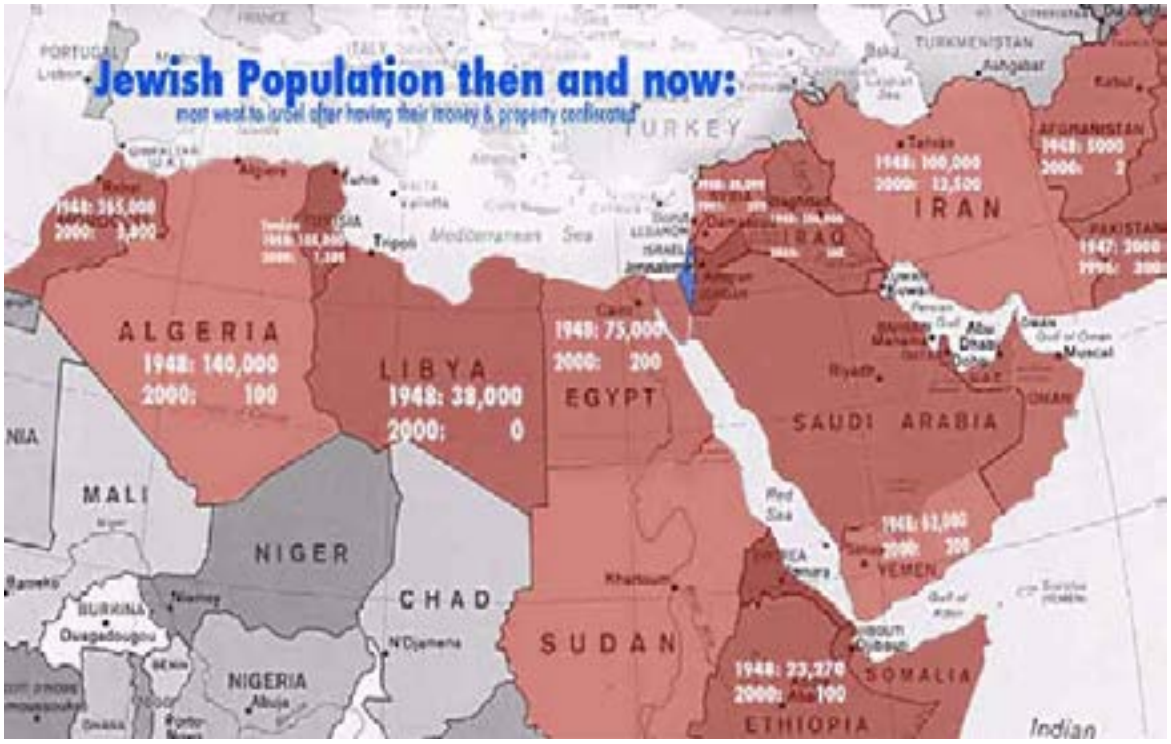

فصل ثاني

من العصور القديمة إلى العصر الكارولنجي:

فترة الازدهار التجاري لليهود

أ. قبل الفتح الروماني

منذ زمن بعيد جداً، كانت سوريا وفلسطين هي الطرق السريعة لتبادل البضائع بين أقدم مركزين للثقافة في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم: مصر وآشور.[1] كان الطابع التجاري (merchant) الأساسي للفينيقيين والكنعانيين[2] نتاجاً للوضع الجغرافي والتاريخي للبلدان التي سكنوها. أصبح الفينيقيون أول شعب تجاري عظيم في العصور القديمة لأنهم [كانوا] يقعون [بين] أول مركزين كبيرين للحضارة. كانت البضائع الآشورية والمصرية هي التي شكلت في البداية الهدفَ الرئيسي للتبادل التجاري (trade) الفينيقي. وينطبق الشيء نفسه بالتأكيد على التجار التبادليين الفلسطينيين.[3] وفقا لهيرودوت، كانت البضائع الآشورية هي أقدم وأهم السلع في التجارة الفينيقية. ومع ذلك، لم يكن

1 "In the ordinary language of European science, ancient life is that which developed chiefly round the Mediterranean basin." J.E Toutain, The Economic Life of the Ancient World (New York 1930), p. 1.

2 It was probably the commercial prosperity of Palestine which made it appear to the Israelites as a land of "milk and honey." It is also probable that the Israelite invasion dealt a serious blow to Palestinian commerce. But with time the Israelites in their turn renewed the profitable relations with the countries of the Nile and the Euphrates.

3Thus, from the very beginning, it was a specific geographic and historic situation which determined the commercial character of the Phoenicians and the Jews. It is obvious that only the proximity to centers of civilization equipped with a relatively important industry, only the closeness to countries already producing in part for exchange, could permit the development of such specifically commercial peoples as the Phoenicians and the Jews. It was alongside the first great centers of civilization that the first great commercial peoples developed.

اتصال الفينيقيين بمصر أقل قِدماً. تكشف أساطير كنعان التوراتية، وكذلك الأساطير الدينية الفينيقية، عن علاقات مستمرة عن طريق البر والبحر، بين سكان هذه البلاد والمصريين. يتحدث هيرودوت أيضا عن البضائع المصرية التي كان الفينيقيون يجلبونها إلى اليونان منذ زمن بعيد جداً.[٤]

ولكن إذا كان الوضع الجغرافي لفلسطين مواتياً مثل وضع فينيقيا للتجارة التبادلية بين مصر وآشور،[٥] فإن مرافق الملاحة الموجودة تحت تصرف سوريا كانت معدومة تماماً في فلسطين. تم تزويد فينيقيا بوفرة بكل ما هو ضروري للسفر البحري؛ قام الأرز والسرو في لبنان بتزويدها بأخشاب البناء؛ كما كان النحاس والحديد أيضاً وفيرين في جبال لبنان وفي ضواحيها. على الساحل الفينيقي، كانت العديد من الموانئ الطبيعية متاحة للملاحة.[٦] لذلك ليس من المستغرب أنه في وقت مبكر جداً، كان ينبغي أن تبدأ السفن الفينيقية، المحملة بشدة بالمنتجات المصرية والآشورية، في الابحار في الطرق الصالحة للملاحة في العالم القديم. "سمحت العلاقات السياسية والتجارية التبادلية لفينيقيا مع دولتي النيل والفرات العظيمتين، العلاقات التي أقيمت قبل الميلاد بأكثر من ألفي عام، بتوسيع التجارة الفينيقية إلى البلدان الساحلية للمحيط الهندي."[٧] قام الفينيقيون بتقريب أكثر الشعوب والحضارات تنوعاً في العصور القديمة من بعضها البعض.[٨]

لقرون عديدة حافظ الفينيقيون على احتكار التبادل التجاري بين البلدان المتقدمة نسبياً في الشرق والبلدان الأقل تحضراً في الغرب. في عصر الهيمنة التجارية للفينيقيين، كانت الجزر في غرب البحر الأبيض المتوسط والبلدان المطلة علية لا تزال متخلفة جداً اقتصادياً. "هذا لا يعني أن التبادل التجاري لم يكن معروف لمجتمع ذلك الوقت [المجتمع الهوميري]، ولكن بالنسبة لليونانيين كانت تتألف أساسا من الواردات .... لدفع ثمن هذه المشتريات [للمواد الخام أو الثمينة، والسلع المصنعة، التي جاء الملاحون الأجانب لتقديمها لهم]، يبدو أن اليونانيين قد قدموا الماشية بشكل رئيسي."[٩] هذا الوضع غير المناسب للغاية بالنسبة للسكان الأصليين لم يستمر لفترة طويلة. أصبحت التجارة الفينيقية نفسها واحدة من المحفزات الرئيسية للتطور الاقتصادي في اليونان. كما كان صعود اليونان مدعوماً بالاستعمار الهيليني، الذي توسع بشكل كبير بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد. انتشر المستعمرون اليونانيون في جميع الاتجاهات عبر البحر الأبيض المتوسط. تضاعفت المدن اليونانية. يعزو ثيوسيديدس وأفلاطون الهجرة اليونانية إلى نقص الأراضي.

رافقت تنمية الاستعمار اليوناني ارتفاع هائل، على الأقل في تلك الحقبة، في الصناعة والتجارة الهيلينية. أدى هذه التنمية الاقتصادية لليونان حتما إلى تدهور التجارة لفينيقيا. "في الماضي، كان الفينيقيون يفرغون بضائعهم في المراسي اليونانية ويستبدلونها بالمنتجات المحلية - ، على ما يبدوفي الغالب كانت الماشية. ومنذ ذلك الحين فصاعداً، كان البحارة اليونانيون[١٠] يذهبون بأنفسهم إلى مصر، إلى سوريا، إلى آسيا الصغرى، وبين شعوب أوروبا، الأتروسكان المتحضرون، والسكيثيون الهمجيين، والغاليون، والليغوريون، والأيبيريون، حاملين معهم السلع المصنعة والأعمال الفنية والمنسوجات والأسلحة والمجوهرات والمزهريات المطلية، التي كانت تتمتع بسمعة طيبة واشتراها جميع البرابرة بشغف."[١١] يبدو أن الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن الرابع كانت عصر الأوج الاقتصادي لليونان. "كانت سمة هذه الفترة الجديدة هي أن المهن أصبحت أكثر عدداً وتنظيماً وتخصصاً.وقد تم تنمية تقسيم

4 F.K. Movers, Die Phönizier (Berlin 1856), vol. 2, p. 18.

5"Even before the advent of the Israelites in Canaan, commerce was highly developed there. In the Tell-el-Amarna letters (fifteenth century B.C.) reference is made to caravans crossing the country under protective escort." F. Bühl, Die Sozialen Verhältnisse der Israeliten (Berlin 1899), p. 76.

6 Movers, up. cit., vol. :2, pp. 19–20.

7 Ibid., vol. 2, p. 18.

8 "By their indefatigable commercial enthusiasm and their entrepreneur spirit, the Phoenicians acquired a name as a commercial people far exceeding that of any other people of antiquity. It was only later, during the Middle Ages, that this name, with all the invidious connotations attached to it, passed to their neighbors and commercial heirs, the Jews of the Diaspora." Ibid., vol. 2, p. 26.

9 Toutain, op. cit., pp. 19–20.

10 These "Greek mariners" appear to have been mainly "metics," foreigners who had established themselves in Greece. The commercial role of the Phoenicians had been tied up with the development of Egyptian and Assyrian civilizations; the rise of Hellenic civilization brought as a consequence the commercial prosperity of the metics.

11 Toutain, op. cit., p. 31.

العمالة بشكل كبير."[١٢] في وقت الحرب البيلوبونيزية، استخدم هيبونيكوسHipponikos ستمائة عبد ونيكياس ألف عبد في المناجم.

حفزت هذه التنمية الاقتصادية المهم لليونان معظم العلماء البرجوازيين على التحدث عن "الرأسمالية اليونانية." وقد ذهبوا إلى حد مقارنة الصناعة والتبادل التجاري الهيليني بالحركة الاقتصادية الواسعة في العصر الصناعي الحديث.

في الواقع، استمرت الزراعة في كونها الأساس الاقتصادي لليونان ومستعمراتها. "لم تكن المستعمرة اليونانية مستعمرة التبادل التجاري: لقد كانت عملياً عسكرية وزراعية بشكل ثابت."[١٣] وهكذا، يروي سترابو فيما يخص كوماي، وهي مستعمرة يونانية في إيطاليا، أنه لم يلاحظ السكان أن مدينتهم كانت تقع بالقرب من البحر إلا بعد ثلاثمائة عام من الاستقرار هناك. إن الطابع الزراعي الأساسي للحياة الاقتصادية للعالم الهيليني لا جدال فيه. ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن صناعة مماثلة للصناعة الحديث. "ظلت أساليب الإنتاج والتنظيم على مستوى الحرفيين."[١٤] يبدو أن المناجم فقط قد قدمت، على الأقل فيما يتعلق بقوة العمالة، صورة مماثلة لتلك التي نراها في الوقت الحالي.

حقيقة أنه على الرغم من توسعها الكبير، ظلت الصناعة و التجارة في الغالب في أيدي الـ ميتيكس(metics)،[١٥] من الأجانب، تثبت بشكل أفضل دورها الثانوي نسبيًا في الاقتصاد اليوناني. "في التبادل التجاري الهائل التي كانت أثينا مركزها، وكذلك في صناعتها، يلعب الـ ميتيكس دوراً رئيسيا."[١٦] في ديلوس، مركز التجارة العظيم، تظهر النقوش أن جميع المتاجرين تقريبا كانوا أجانب."[١٧]

احتقر المواطن اليوناني التبادل التجاري والصناعة؛ فقد كان في المقام الأول مالك الأراضي. عارض أرسطو، مثل أفلاطون، منح المواطنة للتجار.[١٨]

لذلك من الضروري الاحتراس من المبالغة في أهمية التطور الصناعي والتجاري لليونان. في الواقع، كان التوسع اليوناني زراعياً وعسكرياً في المقام الأول. ومع ذلك، فقد ترافقمع تطور صناعي وتجاري ذي أهمية كبيرة في وقتها.[١٩]

لم يصبح اليونانيون أبداً شعباً تجارياً مثل الفينيقيين واليهود؛ لكننا نجد تطوراً تجارياً وصناعياً مهماً جداً في المستعمرات اليونانية ولاحقا في الممالك الهيلينية. وبالطبع، فإن الدول اليونانية، رغم أنها ليست تجارية بالفعل، دعمت التجارة والصناعة بكل قوتها كمصادر مالية ذات أهمية قصوى.

التنمية الاقتصادية لليونان ومستعمراتها ليس وحده الذي يجب أن ننسب إليه تراجع التجارة الفينيقية؛ كان لا يزال هناك سبب مهم آخر: العداء المتنامي بين بلاد فارس واليونان. بالتوازي مع امتداد الحضارة الهيلينية كان هناك زحف للفرس المنتصرعبر آسيا. وصلت الإمبراطورية الفارسية أوجها في القرن الخامس قبل الميلاد، وامتدت على جزء

12 Ibid., p. 53.

13 Johannes Hasebroek, Staat und Handel im Alten Griechenland (Tübingen l928), p. 112

14 Hasebroek, op. cit., p. 78. The production of use values remains the foundation of the economy. All that can be conceded is that production for exchange took on in Greece the maximum dimensions possible for the ancient mode of production.

١٥ طبقة الأحرار غير المواطنين. ميتيكس كانوا عادة يونانيين من المدن-والولايات الأخري.

16 Pierre Roussel, La Grèce et l'Orient (Paris 1928), p. 301. See also Michel Clerc, La Métèques Athéniens (Paris 1893), p. 397: "Maritime commerce was in effect largely in the hands of metics"; and Henri Francotte, L'industrie dans la Grèce Ancienne (Brussels 1900–1901), vol. l, p. 192: "This commerce [at Athens] appears to have been mainly in the hands of foreigners."

17 Hasebroek, op. cit., p. 27. In the period of its prosperity; Athens contained 400,000 slaves; 20,000 citizens; and 30,000 metics.

18 "It is no more permissible to speak of the commercialization of the world than of its industrialization. The agrarian character of economy is predominant even in the fourth century B.C." Hasebroek, op. cit., p. 101.

19 "Any analogy between the ports of ancient Greece and modern Genoa or Marseilles will provoke only skepticism or a smile. Nevertheless, the spectacle afforded by all this exchange, shipping, and coming and going of goods was then a new thing in the Mediterranean. It was quite different in intensity and in nature from that previously afforded by Phoenician trade, which had been mere sea-peddling rather than real business." Toutain, op. cit., p. 65.

من آسيا وعلى مصر.

أدى التنمية المتوازية للحضارة اليونانية والفارسية بالضرورة إلى توجيه ضربة قاتلة للتجارة الفينيقية. من المؤكد أن التبادل التجاري بين آسيا وأوروبا أصبح صعب للغاية بسبب تقسيم عالم البحر الأبيض المتوسط بين مجتمعين متعاديين بشكل متبادل. خلق كل من العالَمين الفارسي واليوناني أعماله التجارية الخاصة.

مع تراجع فينيقيا وتطور التبادل التجاري الآسيوي بعد فترة الفتوحات الفارسية، يمكننا أن نفترض أن فلسطين، التي حلت محلها فينيقيا سابقاً بالكامل، بدأت تلعب مرة أخرى دوراً تجارياً مهماً. استعاد الممر بين مصر وبابل كل قيمته. في حين فقد التبادل التجاري الفينيقي المزيد والمزيد من أهميتها القديمة حتى النقطة التي كانت فيها المنتجات المملحة في زمن لوسيان هي الشحنة الرئيسية، لعب اليهود دوراً رائداً في الإمبراطورية الفارسية.[٢٠]

يَعزو بعض المؤرخين دوراً مهماً للمنفى البابلي في تحويل اليهود إلى شعب تجاري. في بابل، "تحول اليهود إلى شعب تجاري، كما نعرفهم في التاريخ الاقتصادي للعالم. وجدوا علاقات اقتصادية متطورة للغاية بين البابليين. تُظهر النصوص المسمارية التي تم الكشف عنها مؤخراً أن اليهود المنفيين شاركوا بنشاط في الحياة التجارية. كانوا مشاركين في أعمال الائتمان، التي كانت متطورة للغاية بين البابليين؛ كانوا أيضا من كبار المتجارين."[٢١]

لكن تشتت اليهود سبق بالتأكيد المنفى البابلي. "هناك أسباب جدية للاعتراف بوجود الشتات قبل المنفى."[٢٢] إن نطاق المنفى اليهودي في عهد نبوخذ نصر مبالغ فيه إلى حد كبير. فقط جزء من الطبقات الحاكمة أصيب بإجراءات الملك البابلي. استمر غالبية اليهود المستقرين في فلسطين في العيش هناك. وبالتالي، إذا تم العثور على اليهود خلال الحقبة الفارسية منتشرين في جميع أنحاء تلك الإمبراطورية الهائلة (وكتاب إستير بليغ جدا حول هذا الموضوع)، فسيكون من السذاجة النظر إلى هذه الحقيقة كنتيجة للمنفى البابلي، المنفى الذي استمر في المجمل حوالي خمسين عاما. من الساذج بنفس القدر الاعتقاد بأن الشعب اليهودي عاد إلى فلسطين في فترة عزرا ونحميا. كان عملهم في المقام الأول ذا طابع ديني. كانت مسألة إعادة بناء المعبد وإعادة بناء مدينة كبرى دينية لليهودية المشتتة. "لقد بالغ معظم المؤرخين إلى حد كبير في دور اليهودية الفلسطينية في العصر الفارسي. إنهم يفكرون كما لو أن القدس، بمجرد أُعيد تأسيسها، أصبح كل تاريخ إسرائيل مركزاً حول الجبل المقدس؛ كما لو أن جميع الشعب قد عاد حقاً من المنفى وعاش على أرض تبلغ مساحتها بضع مئات من الكيلومترات المربعة في تقوع وميتسبا (Mitspa) وأريحا. في الواقع، في هذه الحقبة، لم يمثل يهود منطقة يهودا سوى جزء، وهو الأصغر، من اليهودية. ومما لا شك فيه أنه كان الجزء الأقل حيوية."[٢٣]

مرسوم كورش موجه إلى يهود الشتات بالكلمات التالية: "وأي شخص يبقى في أي مكان يقيم فيه، فليساعده أهل مكانه [الذين يتجهون إلى فلسطين] بالفضة، والذهب، والبضائع، والدواب، إضافة إلى التقدمة الطوعية لبيت الله الذي في أورشليم" (كتاب عزرا ١: ٤). ويتابع كتاب عزرا (١: ٦): "وكل الذين كانوا دائرين حولهم، عزَّزوا أيديهم [٤٢٠٠٠ يهودي كانوا عائدين إلى فلسطين] بأوعية من الفضة والذهب والسلع والبهائم." من الواضح أننا لا نتعامل هنا مع عودة جماعية لليهود إلى فلسطين ولكن في المقام الأول مع إعادة إعمار المعبد.

خلال الحقبة الفارسية، كانت المستعمرات الرئيسية للشتات تقع في بلاد ما بين النهرين، وفي المناطق الكلدانية، وفي مصر. الوثائق التي تم العثور عليها في منطقة إلفنتين في مصر، التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، تلقي ضوءاً مثيراً للاهتمام على حالة المستعمرات اليهودية في الشتات في هذه الحقبة.

20 Charles Autran, Les Phéniciens (Paris 1920), p. 51.
21 Lujo Brentano, Das Wirtschaftsleben der Antiken Welt (Jena 1929), p. 80.
22 Antonin Causse, Les Dispersés d'Israël (Paris 1929), p. 7.
23 Ibid., pp. 54–55.

وفقا لأرشيف ينتمي لعائلة يهودية، يبدو أن "اليهود انخرطوا في التبادل التجاري، واشتروا وباعوا المنازل والأراضي، وأقرضوا الأموال، وعملوا كحفظة ودائع، وكانوا على دراية جيدة بمسائل القانون." من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه حتى الأغاني والحوليات هي باللغة الآرامية، مما يدل على أنه في وقت مبكر من القرن الخامس قبل الميلاد، لم تعد العبرية لغة شائعة لليهود.[٢٤] كانت الآرامية هي اللغة الآسيوية العظيمة في تلك الفترة، وهي لغة الاعمال التجارية.

لم يكن دين يهود منطقة إلفنتين متطوراً مثل الدين الرسمي المقنن خلال عصر عزرا-نحميا. في التماس إلى الحاكم الفارسي، طلبوا الإذن بإعادة بناء معبدهم. لكن إصلاح عزرا - نحميا كان يهدف على وجه التحديد إلى تركيز جميع يهود الشتات حول المعبد الوحيد في القدس. وفي الواقع استمرت هدايا اليهود المتفرقة في جميع أنحاء العالم في التدفق إلى القدس حتى عام ٧٠.

كانت هذه الثروة من معبد القدس التي ربما كانت السبب الرئيسي لهجوم أنطيوخس ضد اليهود. "نصحه سيمون بأن الخزانة العامة في القدس كانت مليئة بمبالغ كبيرة وأن هناك ثروات عامة هائلة."(الكتاب الثاني للمكابيين، ١١١: ٦). في وقت لاحق، في جزيرة كوس الصغيرة، صادر ميثريدس ثمانمائة طالن كانت مخصصة لمعبد القدس. في العصر الروماني، اشتكى شيشرون في خطاباته من المبالغ الهائلة التي كانت تتدفق إلى القدس.

تُشكل الفترة الهلنستية حقبة الأوج الاقتصادي في العصور القديمة. دمرت فتوحات الإسكندر الحواجز بين العالم الهيليني وآسيا ومصر. نشأت المدن مثل الفطر في جميع أنحاء الإمبراطورية الهيلينية. "أعظم مؤسسي المدن، ليس فقط في هذه الحقبة ولكن حتى في كل التاريخ، كانا سلوقس الأول وابنه أنطيوخس الأول."[٢٥] أنشأ الملوك الهلنستيون مراكز حضرية جديدة مقدر لها أن تحل محل المدن الفينيقية والفارسية القديمة. "على ساحل سوريا، يتسبب ميناء أنطاكية في نسيان مدينتي صور وصيدا القديمتين."[٢٦] سلوقس يُنشئ سلوقية على ضفاف نهر دجلة من أجل سلب بابل من دورها المركزي في التجارة العالمية.[٢٧] تم تحقيق هذا الهدف بالكامل.

في حين سقطت بابل في التدهور، ربما أصبحت السلوقية الهيلينية أعظم مدينة في هذه الحقبة. وفقا لبليني، كان عدد سكانها ستمائة ألف نسمة. إلى جانب سلوقية، أصبحت الإسكندرية وأنطاكية مراكز العالم الهلنستي. شهدت كل هذه المدن ازدهاراً بلا منازع خلال الفترة الهلنستية.

يبدو أن وضع اليهود قد تعزز أكثر بعد فتوحات الإسكندر. "يبدو أنهم كانوا قادرين على الحصول على امتيازات خاصة على حد سواء من السلوقيين أو من البطالمة. في الإسكندرية، التي اجتذبهم إليها بطليموس الأول وحيث كثروا، شكلوا جماعةً منفصلةً تحكم نفسها ولا تخضع لاختصاص المحاكم اليونانية."[٢٨] "تمتع اليهود بحكم ذاتي معين وموقع متميز في أنطاكية، عاصمة سوريا. كان هذا صحيحاً أيضا في قورينا."[٢٩] إن المكانة المتميزة والأدوار الاقتصادية المحددة لليهود قد أصبحت بالفعل مصدر صراعات خطيرة مع سكان المدن التي سكنوها. اندلعت الصراعات بشكل مستمر في الإسكندرية، سلوقية، قورينا، قبرص، وكذلك في المدن الفلسطينية.[٣٠] لم يكن لهذه النزاعات أي شيء مشترك مع العداوات الوطنية الحالية. على العكس من ذلك، شهدت الإمبراطوريات الهلنستية استيعابا هائلاً لشعوبها التي تكوّنها. توقف الاسم اليوناني بعد فترة ليتم تطبيقه على أعضاء أمة معينة بل أصبح يطلق للقطاعات الحاكمة والمثقفة من الشعب. أمر الإسكندر كل شخص، كما يخبرنا كاتب قديم، أن ينظروا إلى العالم على أنه وطنهم الأم، والأثرياء كأقاربهم، والأشرار كأجانب.

24 Jüdisches Lexicon (Berlin 1927–30), vol. 2. Article on Elephantine, pp. 345–46.
25 Eduard Meyer, Blüte und Niedergang des Hellenismus in Asien (Berlin 1925), p. 20.
26 Roussel, op. cit., p. 486.
27 Meyer, op. cit., p. 22.
28Roussel, op. cit., pp. 480–81.
29 Brentano, Das Wirtschaftsleben der Antiken Welt, op. cit., p. 78.
30 Meyer, op. cit., p. 61.

يجب أيضا أن تُنسب الأهمية المتزايدة لليهودية في حياة التجارة للعالم الهلنستي إلى إزاحة الحياة الاقتصادية نحو الشرق. يقدم ازدهار الإسكندرية وأنطاكية وسلوقية تناقضا صارخاً مع الفقر والانحلال الذي سقطت فيه اليونان في نفس الفترة. يؤكد بوليبيوس مراراً وتكراراً على إنحدار المدن اليونانية. في وقت لاحق إلى حد ما، في القرن الثاني، "لا يمكن للزوار أن يصدقوا أن هذه المدينة، حيث كانت المياه شحيحة، والشوارع ذات الصيانة والتخطيط الرديء، والمنازل غير مريحة، كانت هي أثينا الشهيرة."[٣١] تم تجريد أثينا من دورها كمركز للعالم المتحضر. ما ساهم في خراب اليونان، إلى جانب تدهورها الاقتصادي، كانت الصراعات الطبقية المستمرة،[٣٢] والتي بحكم النمط المتخلف للإنتاج، لا يمكن أن تحدث أي تغييرات مهمة. كان انتصار العامة عابراً، ولم يكن من الممكن أن تؤدى إعادة توزيع الثروة إلا إلى عدم مساواة اجتماعية جديدة، ومراكز تكاثر لصراعات اجتماعية جديدة. وهكذا أثبت انتصار اليونان، بعد فتوحات الإسكندر، أنه وهمي. أدى نزوح المركز الاقتصادي للعالم نحو الشرق، والذي أعقب الفتوحات، إلى التدهور السريع لليونان.[٣٣] كان على الطبقات المالكة والأرستقراطية، التي لا حول لها ولا قوة قبل انتفاضات العامة، أن تسعى للحصول على الدعم من روما،[٣٤] لكن الأخيرة لم تستطع الإجابة إلا من خلال توجيه الضربة القاضية لليونان وكذلك الهيلينية. ألقى الرومان أنفسهم على العالم الهلنستي كما لو أنه فريسة سهلة للنهب والغزو. "بين عامي ٢١١ و٢٠٨، وفقاً للمعلومات غير المكتملة للغاية التي وصلت إلينا، خمس "مدن قديمة من الهيلينيين"... نُهبت."[٣٥] قورِنْثوس، مدينة التجارة الغنية دُمرت. يروي بوليبيوس: "كنت هناك". "رأيت صوراً تداس تحت القدم، وجنوداً يجلسون عليها وهم يرمون النرد." كما وجهت روما ضربات قاسية للغاية للهيلينية في آسيا. تحت الضربات المشتركة للرومان والبارثيين، تم تدمير البنية الرائعة لليونان.[٣٦]

ب- الإمبريالية الرومانية وتراجعها

يتبع في العدد القادم...

العودة إلى الصفحة الأولى

31 André Piganiol, La Conquête Romaine (Paris 1927), p. 205.
32 These class struggles were limited strictly to the free population of the Greek cities. “Some degree of equality in the possession of property appeared necessary to the maintenance of this political democracy. Therein lies the source of the bloody wars between the rich and the poor, the end-product of Hellenic demagogy. But the slaves, serfs, and metics took no part in these struggles ....” Claude Jannet, Les Grandes Époques de l’Histoire Économique (Paris 1896), p. 8.
33 “The Greek peninsula [in the Hellenistic period] thus increasingly lost its leading position and the economic center of the world was displaced toward the East.” K.J. Beloch, Griechische Geschichte (Berlin 1914–27), vol. 1, pp. 279–80.
34 See N.D. Fustel de Coulanges, The Ancient City (Boston 1874), p. 498.
35 Maurice Holleaux, Rome, la Grèce et les Monarchies Hellénistiques (Paris l921), p. 231.
36 Piganiol, op. cit., p. 232.